حكايات من شارع الرشيد

رياضيون مسيحيون شرَّفوا كرة القدم العراقية

الزعيم عبد الكريم قاسم يؤسس منظمة الأوبك

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (1991) السنة الثامنة
الإثنين (20) كانون الاول 2010

13

لماذا أمر نوري السعيد بإغلاق الحمامات عن النواب

اسرار عراقية

من قتل ضياء يونس ... ؟!

ظروف انقلاب بكر صدقي .. ومن كان يقف معه من الضباط ...

معن عبد القادر آل زكريا
باحث ومؤرخ

نبذة عن حياته :

هو ضياء بن يونس بن صالح الأفندي. ولد في الموصل سنة ١٨٩٥. وتوفي والده وله من العمر ست سنين. وكان له شقيقان وشقيقة واحدة توفوا جميعاً وهم صغار فرعاه جده لأمه محمد سعيد المتولي. وعند وفاة جده تولى رعايته عبد المجيد المتولي وكان شاعراً. حفظ ضياء القرآن الكريم وهو لما يزل صبيا حتى لقب بـ (الحافظ). درس العلم عند الشيخ عبد الله النعمة فمنحه الإجازة ثم لبس العمة والجبة ليعين مدرسا في المدرسة الثانوية الدينية في الموصل في أيلول من سنة ١٩٢٠ وبعدها استقال من التعليم ليدخل مدرسة (كلية) الحقوق سنة ١٩٢١ فتخرج فيها بمرتبة الأول في تموز من سنة ١٩٢٥ .

ثم عين كاتبا في ديوان مجلس الوزراء، فسكرتيرا في مجلس الأعيان بين السنوات ١٩٢١-١٩٢٨.

وكان ضياء يونس أحد أعضاء حزب الإخاء الوطني، ثم صار نائبا أخائيا في المجلس النيابي عن مدينة الموصل حتى سنة ١٩٣٠. ثم أعيد انتخابه ثانية سنة ١٩٣٤، ثم نائبا للمرة الثالثة حتى سنة ١٩٣٤. وبعد انقلاب بكر صدقي، سحب إلى وظيفة مدون قانوني لتنتهي حياته سنة ١٩٣٧ على الشكل الذي سنبينه في مقالنا هذا .

× × ×

في الساعة السادسة والنصف من مساء يوم الأربعاء الموافق العشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٩٣٧، وبينما كان ضياء يونس يسير في حي البتاوين وسط بغداد الواقع إلى الجهة الشرقية من شارع السعدون -ذهابا إلى الكرادة- قاصداً مسكن الحاج إسماعيل شنشل حيث اعتاد زيارته مساء كل يوم تقريبا، مرّت بالقرب منه سيارة تسير ببطء، فلما حاذته، أخرج أحد الرجال الثلاثة الذين كانوا في السيارة مسدسه ووجهه إلى رأس المرحوم ضياء فأرداه ممدّداً على الرصيف، مضرّجا بدمائه ثم نزل إليه الاثنان الآخران ووجها إليه مزيدا من الرصاص حتى فارق الحياة في الحال.

تعقيب :

يذكر ضياء شيت خطاب رواية نقلها إليّ مؤخرا ولده فائز، إن الرواة قالوا في حينها إن السيارة كانت تضم فضلاً عن الرجال الثلاثة المطربة عفيفة اسكندر. وتقول الرواية إن الجميع كانوا في حالة سكر شديد إلاّ أن رواياتهم تلك، لم يقدّم لها من الإسناد المادي أي أصل -(الباحث)-

في الحقيقة، ليس ديدننا من هذه الكتابة أن نذكر صفات الرجل العروبي أو نعدد مناقبه وأفضاله الكثيرة أو ننوه بفكره النير وعقليته القانونية وتسلحه بأمور الشرع والفقه المتميز بهما، لكن مرادنا أن نعيد تسليط الضوء على حادثة اغتيال مرت في تاريخ العراق الحديث، وكان لها صداها القريب والبعيد، لا بل تعتبر محطة من محطات التخبط السياسي الكثيرة التي مر بها العراق سياسياً وعسكريا وإداريا، والتي أثرت في نهجه في السياسة الوطنية والقومية، وكبحت تطلعه نحو الاستقرار الاقتصادي والإداري.

ضياء يونس

لقد اشتهر المرحوم برقّة الطبع ودماثة الخلق، فلم يعرف عنه انه قد ضمر شراً لأحد أو تسبب في عداء ألحق ضرراً بأي إنسان . لذلك يستبعد ان يكونَ اغتياله جراء عداوة أو بغضاء. وإذا ما وضعنا جانبا مسألة الخلافات الشخصية بحسبها سبباً من أسباب الاغتيال، فتبقى في الميزان مسألة الاغتيال السياسي... وتحديداً أكثر، من هي الجهة التي كان قتله يعود عليها بالفائدة الكبرى؟ ثم من هم الجناة؟ وما هي أوصافهم؟ ... وأي مناصب كانوا يشغلون وهل مثلوا أمام القانون أم فرّوا ناجين بجلودهم؟ وهل حل عليهم قصاص عدالة السماء فيما بعد كما يقول البعض من العارفين ببواطن الأمور؟!! .تقول إحدى الروايات ان إبعاد المرحوم ضياء يونس عن سكرتارية مجلس الوزراء إلى وظيفة مدون قانوني يعد انتقاماً ادارياً بسيطاً منه إذا ما قورن هذا بأعمال المطاردة والتشريد التي لحقت بعشرات السياسيين فغادروا العراق فارين بجلودهم إلى دول عربية وإسلامية مجاورة. إذن لماذا كان يبدو على المرحوم ضياء يونس -قبل اغتياله بحوالي أسبوع أو أقل- عدم راحة البال إذ يذكر القريبون منه ان الهواجس قد انتابته ، الأمر الذي أدى به إلى المبيت في منزل آخر غير منزله بضعة أيام ، حتى انه اضطر إلى إرسال أفراد أسرته إلى الموصل وكأنه كان ينتظر المصير ليواجهه وحده بصمت ودون شهود .

وهناك رواية ذكرها احمد فوزي عبد الجبار في كتابه (أشهر الاغتيالات السياسية في العراق الملكي) تقول : ان العصابة التي قامت بتنفيذ العملية كانت نيتها متجهة أصلا لاغتيال ثابت عبد النور الذي لم يجدوه في المحل المرصود وانما صادفوا ضياء يونس فجأة أمامهم فكان لابد ان يكون اسمه قد دخل قائمة (الباشا) السوداء فاقتنصوه وعادوا إلى سيدهم بفريسة أياً كانت ، خيراً من لا شيء ... وهكذا كان ...

ويؤخذ على رواية عبد الرزاق الحسني في ذكره حادثة الاغتيال ووصفه إياها ، أنّ الحيثيات التي جاء بها لا تصلح سنداً قوياً ولا تشكل رأيا راجحاً تحت أي باب من أبواب التاريخ أو التوثيق ومنها قوله (والمعروف ان القتيل كان يرأس اجتماعات سرية ضد الوزارة القائمة. وان قاتله اسماعيل توحلة بالذات).

للرد على ذلك يقول آخرون: إن الجو السياسي العام بعد انقلاب الفريق بكر صدقي كان جوا مكتظا بالارهاب وحوادث التهديد والاغتيال لشخصيات عديدة ومشبعا بروح السفه السياسي والأخلاقي سواء على مستوى الضباط الصغار ومرافقي القادة أو حتى على مستوى القادة والوزراء أنفسهم.

لذا فان إمكانية ترأس ضياء يونس اجتماعات سرية ضد الوزارة القائمة أمر مستبعد، بل يمكن اعتماد رواية غيرها تقول انه كان يتراسل مع زعيم حزبه ياسين الهاشمي الذي غادر العراق إلى منفاه (لبنان). كما أن اتهام إسماعيل عباوي (توحلة) بأنه القاتل دون الاعتماد على إثبات يرجح تلك الرواية أو الإتيان بدليل مادي ملموس معززا بشهادة شهود، فهو من باب إطلاق الكلام على عواهنه، إلا أن أحدا من الذين عاشوا إبان تلكم الحقبة لم يبرئ المذكور (توحلة) على مستوى (الظن) من الاتهام بتلك العملية كما سنرى .

أما رواية مدير الشرطة السابق عبد الرحمن حمود السامرائي، التي حكاها الصحافي احمد فوزي عبد الجبار ونشرها في كتابه الموسوم (الاغتيالات السياسية في العراق الملكي) فتقول إن السامرائي كان قد اطلع على بعض الوثائق المأخوذة من تقارير أمنية بشأن حادثة اغتيال ضياء يونس، تلك الوثائق التي تزعم كما قرأها السامرائي بوجود (جماعة) من الانقلابيين من أنصار الفريق بكر صدقي، هم الذين دبروا هذه العملية والسبب في ذلك احتفاظ المرحوم ببعض أصول الحوالات المالية التي كانت ترسلها الوكالة اليهودية في فلسطين مساعدة لجماعة (الأهالي) مع رفضه (ضياء يونس) تسليمها إلى طالبيها الذين يمكن أن يفتضح أمرهم ...!!

هنا، وعند هذه النقطة يمكننا الوقوف لهنيهة باعتبارها من أكثر الأمور التي يرجّح قبولها، بحسبها سبباً من أسباب الاندفاع نحو اغتيال المرحوم المحدث عنه .. أما مؤاخذتنا على الرواية إياها فهو الامتناع عن ذكر أسماء سوى الذين ذكرهم السامرائي بـ (الجماعة) .

إن الإحجام عن ذكر أي أسماء المشتبه بهم يتضمنه تقرير أمني تقوم بإجرائه جهة أمنية تذكر فيها تفاصيل حادثة اغتيال سياسي وقع في وسط العاصمة بغداد لشخصية قانونية وسياسية معروفة فهو لأمر عجب !!.

ثم يضيف (السامرائي) مستطردا في روايته (هم الذين دبروا هذه العملية) ويقصد بذلك (الجماعة) الذين ذكرهم قبل ذلك. ومن باب التحليل القانوني الدقيق فان صفة مدبر قد تنطبق على المخطط أكثر مما تنطبق على المنفذ، لذا كان الأجدر بالسيد السامرائي وهو ضابط شرطة متمرس أن يحاول التفتيش عن أسماء القائمين بالعملية طالما انه فتش بين طيات أوراق التقارير وأضابير دوائر الأمن والتحقيقات الجنائية، أو في الأقل يذكر نصوص وبيانات أخرى يمكن ان تكون قد تناولتها التقارير بحذافيرها، كونه قد اطلع على التقارير وقرأها بتمعّنٍ وتروٍّ كما ذكر لأحمد فوزي شخصيا.

وأكثر الروايات مقبولية في نظرنا هي رواية السفير البريطاني في بغداد المستر (ارجيبالد كلارك كير Archibald Clarck Keer) التي تضمنها تقريره المرسل إلى وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ١٤ شباط من

سنة ١٩٣٧. وتعد أهم فقرة وردت في الرواية قوله (إن الغالب على صفة القائمين بعملية الاغتيال كونهم ضباط في الجيش العراقي).
وقد قرن ذلك الاشتباه بنوع الرصاصات المستخدمة في العملية فضلاً عن نوع المسدس على وجه التحديد ومدى اقتصار توفره لدى ضباط الجيش العراقي أولئك الذين يشغلون مكانات قريبة من صناع القرار السياسي.
كما ذكر تقرير السفير البريطاني ان ضياء يونس (كان يراسل ياسين الهاشمي (زعيم حزبه) في بيروت ، وانه دفع حياته ثمنا لعدم تبصره).
أما تقرير القائم بأعمال السفارة البريطانية المستر (اوزوالد سكوت Oswald Scoot) فهو في طبيعته ليس أكثر من توصيف للحالة العامة من حيث انه لم يأت بشيء جديد كون حكومة جميل المدفعي التي أعقبت حكومة حكمت سليمان (حكومة سياسة إسدال الستار على الماضي وعفا الله عما سلف) فلم تتخذ أية إجراءات بشأن تقديم الجناة إلى القضاء .
كما أن الصحافة العراقية، التزمت الصمت المطبق تجاه تلكم الأعمال، كأنما كان هناك سيفٌ مسلطاً على رقاب السلطة الرابعة... ما عدا السائح العراقي والصحافي الموصلي يونس بحري الجبوري صاحب جريدة العُقاب الذي يقول في كتابه (أسرار ٢ مايس ١٩٤١ ، أو الحرب العراقية الانكليزية) ما نصه: (وبعد أن شاركت الجبهة الشعبية اليسارية في مناصب وزارية أخذت صحفها تصب صباح كل يوم سيلاً عارماً من الشتائم على رؤوس السياسيين وتحملهم مسؤولية ما آلت إليه أحوال البلد السيئة آنذاك من تبعة الشقاق والفرقة التي سادت صفوف المجتمع ، فضلاً عن نقمة العشائر وتمردها (المقصود حكومة ياسين الهاشمي وحزب الاخاء الوطني على وجه التحديد) .
يضيف يونس بحري قائلا (لذلك فقد تصديت بواسطة صحيفتي (العقاب) للرد على أولئك المهاجمين بشدة وضراوة اعتبرها الفريق بكر صدقي موجهة ضده بالذات) .
ويضيف البحري متحدثا : وفي صباح الثلاثين من شهر كانون الثاني من سنة ١٩٣٧، وبينما كنت متوجها إلى مبنى وزارة الداخلية كعادتي بحكم عملي الصحفي، صرت وجها لوجه قدام ثلاثة من أصدقائي الضباط الذين يعدون من أشد أنصار بكر صدقي وهم العقيد الطيار محمد علي جواد واسماعيل توحلة (عباوي) وصالح فوزي. وقد ناداني صالح فوزي أن اقترب منهم، عندها تقدم مني محمد علي جواد وفاجأني بقوله ما نصه: لقد كلفنا الباشا (يقصد الفريق بكر) باغتيالك فوراً!! ولما كنت صديقاً وفياً لنا فقد سمحنا لك بالسفر إلى خارج العراق فانج بنفسك حالاً، كي لا يكون مصيرك كمصير صاحبك ضياء يونس من قبل ..!!
ويضيف يونس بحري متحدثاً (ولما كنت وقتها وحدي في الساحة ، فلم أكن أملك حينها إلا أن أظهر تبسمي وأكظم غيظي وخوفي مما قاله لي العقيد الطيار محمد علي جواد حتى قلت متداركاً: لكن يا أخي العقيد ليست معي فلوس للسفر ..!! وسرعان ما مد محمد علي يده في جيب سترته وأخرج ديناراً واحداً ونصف دينار، قائلاً ومقسماً: والله هذا كل ما لديّ فاذهب في أمان الله).
ثم اختفى البحري منذ ساعتها ليظهر في لبنان ويكتب كتابه المسمى (العراق اليوم) يفضح فيه أساليب البطش والتنكيل التي استخدمها الانقلابيون ضد معارضيهم ومن أنصار الوزارة السابقة . نعود إلى مناقشة الروايات التي خاضت في موضوع اغتيال ضياء يونس فنقول إن رواية العريضة التي قدمتها والدة المغدور هي رواية حقيقية كانت قد طلبت فيها بإعادة فتح التحقيق كون أصابع الاتهام تشير إلى تحريض تم من قبل بكر صدقي نفسه ...!
أما رواية السيد احمد فوزي عبد الجبار نقلا عن مذكرات العميد طه الهاشمي التي يقول فيها ويؤكد (أن ليس للعسكر ضلع في مقتل السيد ضياء يونس) فهو قول نعده من باب الروايات الضعيفة ، ناهيك عن انها جاءت مبتورة ، كما ان المقتبس السيد احمد فوزي لم يشر إلى مكان الاقتباس من جملة مذكرات الهاشمي لأن تصفح مذكرات الهاشمي وحسب تواريخ تسبق حادثة الاغتيال أو تأتي بعدها (كما قمنا به نحن كاتب هذا المقال) فهي في جملتها لا تبرئ جماعة بكر صدقي بأي شكل من الأشكال . اما الاعتماد على النص (ليس للعسكريين ضلع) فهو كلام يحتمل التأويل إذ يجوز أن يكون مقصده أن القائمين بالعملية هم من العناصر المدنية لكنهم محسوبين على العسكر وعلى جماعة بكر صدقي. تبقى مسألة تبرئة العسكر بصفة (الانقلابيين) فهو كلام فيه تجنٍ على الحقيقة التي كانت واضحة للعيان كما سنرى لاحقا.
يقول طه الهاشمي، الذي كان يومئذ في الأستانة في مذكراته ليوم ٥ كانون الثاني ١٩٣٧ (إن الأخبار التي ترد من الوطن لا تدعو إلى الاطمئنان، والجماعة – يقصد جماعة بكر صدقي– لن يراعوا ذمة للوطن، واصبح بكر يتسفه ويشجع جماعته على الفتك والقتل وهو يعيش حياة خلاعة ومحاط بسقط المتاع من الجيش من أمثال: علي غالب الأعرج ولازار برادو وحسين الدليمي وغيرهم، والانكليز يتربصون للأمر وهم يدبرون في الخفاء أمراً لا تعلم عواقبه).
ويقول الهاشمي في مذكراته ليوم ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٧ : تم توقيف صادق البصام وصادق حبة وعلي محمود الشيخ علي وداوود السعدي .وفي ٧ شباط يقول العميد الهاشمي : (ذكرت الأخبار ان الجماعة مستمرة على سياسة الارهاب فشاع ان عبد الله باشعالم اغتيل في الموصل ، وان جمال المفتي قد جرح في ظروف مجهولة وان مولود مخلص رئيس مجلس الأعيان اطلقت عليه النار من قبل مجموعة ولم يصب بسوء فهرب عن طريق دير الزور ثم اطلق سراح البصام الذي وصل بيروت وان داوود السعدي ويونس السبعاوي اخرجا من العراق وان جميل روحي ومصطفى الجادر قد جرحا أيضا).
وكتب العميد طه الهاشمي في مذكراته ليوم ٢٣ آذار ١٩٣٧ : (ذهبت إلى القنصلية العامة في استانبول فشاهدت الرئيس الأول محمد زكي مرافقي السابق وهو برفقة أخيه ، وقد وصل من بغداد يوم أمس يروم الذهاب إلى فيينا للتداوي . وقال انني رأيت رضا العسكري في ٢٠ مارس عند علاء الدين النائب وسألته عن ظروف مقتل ضياء يونس، فقال إن السبب مجهول وقال انه سمع أخبارا عن توقيف بعض الضباط . ويضيف محمد زكي قائلا : ان المقدم احمد بهجت الذي جلب امرأة نمساوية كانت تعمل راقصة في الملاهي الليلية كزوجة لبكر صدقي. ويعلق العميد الهاشمي على هذا الموضوع قائلا : (ان هذه المرأة هي ذاتها كانت قبل بضع سنين تقيم في ايران وتعمل في التجسس لحساب الألمان ثم أخرجوها من إيران، وان الدكتور غروبا الوزير الالماني المفوض في بغداد هو الذي سعى لجلبها من النمسا وتزويجها من بكر صدقي .
ويضيف العميد طه الهاشمي قائلا في مذكراته (ان الضباط الذين كان يعتمد عليهم بكر صدقي في الموصل هم كل من احمد حمدي وخليل مخلص واحمد فخري).
وقد أخبرني صديقي المهندس فايز ضياء شيت خطاب (في مقابلة شخصية معه) وهو حفيد ضياء يونس من ابنته قائلا (ان جدي المرحوم شيت (والد الحاج محمود وضياء) نصح المرحوم جدي ضياء يونس بامكان تهريبه إلى قرية امشرف احبيط و قرية ملح التي كان يملك فيها أطيانا وتسكنها عشاير الجحيش وعشائر طي قرب قرية وانه من أعمال سد الموصل حاليا، وهو عند ذاك سوف يكون لا خوف عليه من شر يطوله إذا كان في الجو ما ينذر بالشر. إلا أن جدي المرحوم ضياء يونس رفض ذلك رفضا باتا قائلا : لا اعتقد ان الأمور يمكن ان تصل بهم إلى هذا الحد ... ومع ذلك فالأعمار بيد الله ...)
تبقى هناك رواية أخرى يرويها اللواء الركن الحاج محمود شيت خطاب ولا يتطرق إلى ذكرها احمد فوزي عبد الجبار حكاها لي فايز بن ضياء شيت خطاب، بخصوص أسماء الذين أوفدهم بكر صدقي إلى المرحوم ضياء يونس يطلبون منه فضح الأسرار الخاصة بسياسة الهاشمي وبحياته العائلية كي يقوموا بنشرها في كتاب خاص، لكن جواب ضياء يونس للمدفوعين (لا أحد ينكر أسماءهم) كان قاطعا وحاسما: لا أعرف أسرارا عن الهاشمي ولا علم لي بخفايا الناس ..!!
وتضيف الرواية قائلة: إن الموفد (لم يحدد الراوي فيما إذا كان شخصا واحدا أو أكثر) هدده وتوعده إن هو لم يفعل ما أمر به. إلا أن المرحوم ضياء لم يقل للموفد غير الحق. كما لم يذكر لنا أحد نقلا عن المرحوم ضياء يونس أو غيره أسماء الذين أوفدوا لتهديده، لأننا لو علمنا ذلك فسيكون مفتاحا مساعدا في كشف أسماء حلقة التآمر والاغتيال.
يروي المرحوم اللواء الركن الحاج محمود شيت خطاب قريب المرحوم ضياء يونس وصديقه: عندما كنا في زيارة لوالدة المرحوم ضياء صحبة والدي وحكت لنا رؤياها صعق والدي وصعقت عند ذكرها أمامنا الأسماء وكأنها قد انطبعت في ذاكرتها حرفيا دون تردد أو نسيان .
وتضيف رواية اللواء الركن محمود ان الأسماء التي ذكرتهم الوالدة تنطبق على المشتبه بهم وأنهم قتلوا جميعا دون استثناء فيما بعد. وان أحدهم قد اعدم وقطعت رأسه خارج العراق (والمقصود هو المقدم جمال جميل شقيق اللواء الركن خليل جميل) الذي ذهب إلى اليمن على رأس وفد عسكري لتدريب القوات اليمنية المسلحة فاشترك في تدبير اغتيال الإمام يحيى بن حميد الدين امام اليمن سنة ١٩٤٨ وأعدم هناك . أما المتهمان الآخران فأحدهما هو اسماعيل عباوي المشهور بـ (توحلة) الذي تقول رواية ضياء شيت خطاب انه بعد أن راج اسمه ضمن فرقة الاغتيال جاء إلى والدة المرحوم ضياء بعد سنوات على الحادث وأقسم أمامها على المصحف الشريف انه لم يكن من الجناة وأنه بريء من دمه .
لكن لم يزودنا باسم الشريك الثالث ، الذي ذكرت المرأة التقية اسمه على محمل الرؤيا. ونسأل من جانبنا فنقول : ان لم يكن (عباوي) الذي برّأ نفسه بالقسم كونه لم يكن من ضمن فريق الاغتيال ..! فأين إذن الاسمان الآخران ..؟! جواب هذا نتركه لكتاب آخرين .
رحم الله ضياء يونس فقد شيّعه أناس كثر بعد نقل رفاته إلى المقابر الحديثة في السبعينيات أكثر من الذين شيّعوه عند اغتياله في الثلاثينيات بسبب الخوف من البطش والإرهاب .
وهكذا يثبت لنا التاريخ أن كل عمليات الاغتيال السياسي التي تقف وراءها فئات سياسية لم ينل القائمون بها أي عقاب وسجلت ضد مجهول.
فقتلة جعفر العسكري لم يحاكموا ....! وقتلة ضياء يونس وعبد الله باش عالم لم يحاكموا هم الآخرون وان المشتركين بمؤامرة مقتل الملك غازي لم يكشف عن أسمائهم لغاية تاريخه وان القائمين على اغتيال بكر صدقي لم يسلموا إلى السلطات وقام حينها آمر الموقع في الموصل اللواء أمين باشا العمري بقطع العلاقة مع السلطة المركزية في بغداد ومزق أوراق التحقيق ورفض تسليم المشتركين والمحرضين على العملية.
أما قاتل رستم حيدر (حسين فوزي توفيق) فقد تم إعدامه وكذلك أعدم (محمود جودت) قاتل عبد القادر السنوي.

ذاكرة عراقية

في 7 شباط يقول العميد الهاشمي : (ذكرت الأخبار ان الجماعة مستمرة على سياسة الارهاب فشاع ان عبد الله باشعالم اغتيل في الموصل ، وان جمال المفتي قد جرح في ظروف مجهولة وان مولود مخلص رئيس مجلس الأعيان اطلقت عليه النار من قبل مجموعة ولم يصب بسوء فهرب عن طريق دير الزور

ضياء يونس

ضياء يونس في شبابه

شارع الرشيد من أقدم و أشهر شوارع بغداد كان يعرف خلال الحكم العثماني باسم شارع (خليل باشا جاده سي) على أسم خليل باشا حاكم بغداد وقائد الجيش العثماني الذي قام بتوسيع وتعديل الطريق العام الممتد من الباب الشرقي إلى باب المعظم وجعله شارعاً باسمهِ عام 1910م، وكان ذلك لأسباب حربية ولتسهيل حركة الجيش العثماني وعرباته فتم العمل في هذه الجادة بصورة مستعجلة وارتجالية حيث كان يصطدم بمعارضة العلماء ورجال الدين البغداديين عند ظهور عقبة تعلق استقامتهِ ببروز أحد الجوامع على الطريق كما كان يصطدم بأملاك المتنفذين والأجانب ممن هم المشمولين بالحماية وفق الامتيازات الأجنبية, وكذلك لقلة المال المتوفر لديهِ لاستملاكها, لذلك وجب حصول انحناءات في الشارع تبعاً لهذه العراقيل.

حكايات من شارع الرشيد

وهكذا بدأ بتهديم أملاك الفقراء والغائبين ومن لا وراث لهم، وهكذا أصبح الطريق ممهداً واسعاً تسلك فيه وسائط النقل بسهولة.

ويحوي الشارع جوامع تراثية منها جامع الحيدرخانة الذي شيدهُ داود باشا عام ١٨١٩م، وجامع حسين باشا وأسواقاً قديمة كسوق هرج وسوق السراي.

قبل الدخول في الموضوع أحب أن أوضح أن خليل باشا حاكم بغداد وقائد الجيش العثماني حين قام بتوسيع وتعديل الطريق العام ، الممتد من الباب الشرقي إلى باب المعظم وجعله شارعا باسم (خليل باشا جاده سي)، لم يستحضر خارطة بغداد والمهندسين ويأمرهم بفتح شارع على وفق الهندسة والاستقامة، ولكن القناصل الأجانب الذين كانوا ساكنين في الباب الشرقي على نهر دجلة وكبار القوم من محلة باب الشيخ، كانوا يترددون على السرايا بالعربات على هذا الطريق، لذلك فان خليل باشا، انما قام بتوسيع الطريق وتعديل استقامته على قدر المستطاع وذلك لأسباب حربية وتسهيل حركة الجيش العثماني وعرباته فتم العمل في هذه الجادة بصورة مستعجلة ارتجالية، لانه كان يصطدم بمعارضة العلماء ورجال الدين عند ظهور عقبة تعلق ببروز أحد الجوامع على الطريق كما يصطدم باملاك المتنفذين والاجانب المشمولين بالحماية على وفق الامتيازات الأجنبية. ولقلة المال المتوفر للاستملاك لذلك وجب حصول الانحناءات في الشارع تبعا لهذه العراقيل وبدأ بتهديم أملاك الفقراء والغائبين. ومن لا وراث لهم وأصبح الطريق ممهدا واسعا تسلك فيه وسائط النقل بسهولة.

وسمي (خليل باشا جاده سي) وكانت اللوحة المعدنية المؤشرة على ذلك معلقة على جدار جامع السيد سلطان علي إلى ما بعد الخمسينيات من هذا القرن ، وسمي هذا الطريق عند اهل بغداد باسم (الجادة العمومية) ثم سمي (الشارع العام) وأخيرا عندما اجتمعت لجنة تسمية الشوارع والمحال في بغداد. اطلق عليه اسم (شارع الرشيد) وبقيت الانحناءات والنتوءات في الشارع على حالها. إلا في حالة نقل رفات إمام طه (تمثال الرصافي) ليلا وبصورة سرية إلى سلمان باك، حين كان ارشد العمري امينا للعاصمة وكذلك حين تهديم الحائط المائل من جامع مرجان بمواجهة البنك المركزي والبارز في داخل الشارع بحجة انه مائل إلى الانهدام وارجع إلى الخلف بضعة امتار وبهذا توسع نوعا ما ولمعرفة ما في شارع الرشيد في العشرينيات نبدأ جولتنا فيه من باب المعظم إلى الباب الشرقي ونبدأ من الطاقة الكبيرة المرتفع إلى أكثر من عشرة أمتار وفيه الباب الحديدي الكبير لمدخل بغداد من هذه الجهة، وعلى جانبيه بابان صغيران تحت الطاق المقوس لمرور السابلة وفي خارج هذا الباب الصغيرة يجلس (دزدبانية) الضرائب ويقع جامع الازبكية في أول الطريق العام ثم جدار القلعة وبابها المفتوح دائما (وزارة الدفاع) وبالمناسبة فانه قد سمي جامع الازبكية بمنارته القصيرة لان أفراد شعب الاوزباكستان يتجمعون فيه مع دوابيهم حيث كانوا يمتهنون حد السكاكين وفي بغداد يسمونهم (الجراخين) وكانوا قد جاءوا مع الجيش العثماني عند فتح بغداد. وكانت ساحة القلعة ملعبا لكرة القدم وعلى جهة النهر السجن القديم والذي يسمى سجن القلعة ومحله الآن هو وزارة الدفاع (المقر) كما كانت ساحة القلعة الواسعة محل استعراض كشافة المدارس الابتدائية وحدث في هذه الساحة وبحضور الملك فيصل الأول والوزراء ان دخلت جاموسة هائجة من باب القلعة في الميدان وأثارت الفوضى والاضطراب إلى ان تمكنت الشرطة من قتل الجاموسة وحكم على صاحبها بالسجن. لأنه لم يتخذ الاحتياط اللازم وكانت العادة أن تربط في ساق الجاموسة الأمامية المشتبه بها عصا كبيرة تعوقها عن الحركة الزائدة أو الركض ثم تأتي مدرسة المأمون بعد سلسلة من المقاهي الشتوية والصيفية في السطوح وقد سجل الملك فيصل نفسه معلما في المدرسة المأمونية وقد سميت بهذا الاسم لان الاعتقاد كان سائدا إلى البناء العباسي في القلعة كان إيوانا لقصر المأمون وقام الملك فيصل أيضا بتسجيل ولي العهد غازي تلميذا في هذه المدرسة، وكانت له من الكشافة فرقة خاصة سميت فرقة الامير غازي وانتخب أفرادها من الطلاب النابهين أولاد العوائل المعروفة وآخر من رأيت من الأحياء الأصدقاء المرحومين ظاهر حبيب وناظم سلمان الحمامي، وخلف المدرسة المأمونية يربض طوب (أبو خزامة) مع شموعه والخرق البالية فيه ثم ساحة الميدان وقهوة خليفة التي تحتل نصف الشارع مقابل حديقة الميدان الصغيرة وسياجها الحديدي المسمى (القفص) وكلمة القفص تعني الشتيمة لان من يقترب من القفص أو يدور حوله يتهم بالشذوذ الجنسي أو سوء السلوك على اقل تقدير فالشتيمة الموجوعة كانت ان يقال عنه (قفصلي أو ابن القفص) اما الجهة اليسرى من الشارع فكانت تبدأ بالبيت الذي ذكرناه انه احتوى على دائرة عسكرية وبعده ساحة لوقوف الدواب ولبيعها وقد شيد في محلها محطة بنزين باسم محطة بنزين باب المعظم وهي الآن المكتبة المركزية العامة وبعدها ساحة تضم التكية الطالبانية وكان يديرها المرحوم علي الطالباني الذي حقق وطبع الديوان الشعري لجده الشيخ رضا الطالباني أشهر شاعر في القرن التاسع عشر باللغة العربية والتركية والكردية واشتهر بقسوة الهجاء وبعد التكية يأتي خان (علو) المشهور وهو مركز العربان والعربنجية ثم جامع المرادية وخلف الجامع يقع الزقاق المؤدي إلى دربونة ومحلة رأس الكنيسة التي تعتبر أقدم كنيسة في بغداد ثم مدخل طريق الصابونجية وعلى ناصيته البيت الفخم للوجيه الموصلي إسماعيل الحجي خالد الذي تركه في الثلاثينيات لأنه لم يستطع العيش والسكن في الميدان المحلة التي تحتوي على محال الشرب والدعارة ثم نستمر في جولتنا بعد قهوة خليفة وقهوة البلدية فنصل إلى سوق الميدان الكبير فأوتيل الهلال الذي تغني فيه بدرية السواس وجماعتها والذي غنت فيه ام كلثوم أيضا وبعده يأتي سوق الهرج الكبير مجمع اللصوص والمحتالين والمعدمين الراغبين في بيع ما عندهم أو شراء ما يحتاجون اليه من البضائع الحرام أو الحلال وعلى رأس السوق وعلى الطريق العام مباشرة بيت عبد الحليم الحافاتي عدو الملك فيصل (لانه لم ينتفع منه)، ثم الشارع المؤدي إلى حمام الباشا كراج (كوترل وكريك) ،ثم قهوة امين التي سميت قهوة الزهاوي ثم شناشيل أحمد القيماقجي أبو الدكتور احسان القيماقجي وغرفة استقباله المطلة على شارع الرشيد وكان مع اصدقائه وجيرانه يتناولون الناس بالغمز واللمز ثم دكان (زبالة) أبو الدندرمة ثم قهوة حسن عجمي ثم مدرسة شماش اليهودية ثم دكان الحلبي الحجي خيرو (برمبوز) أول من صنع شربت اللوز في بغداد ثم مطعم شمس ثم ديواخانة بيت رؤوف الجادرجي التي استأجرها حزب الإخاء الوطني مقرا له ثم الطريق المؤدي إلى أمانة العاصمة وفي أوله يقع المعهد العلمي الذي كان يهيئ الجرائد للقراء المجانية نهارا وفي المساء ينقلب إلى معهد لتدريس اصول التجارة ومسك الدفاتر وفي الناحية الأخرى من الطريق كانت مدرسة الصوفية التي يرتادها جميل صدقي الزهاوي بعد أن يكون خادمه قد ربط حمارته الحساوية البيضاء المسرجة والملجمة جوار المعهد العلمي ويبقى في الجامع مدة ساعتين ثم ينصرف إلى حمارته يركبها بمساعدة خادمه ورجلاه تتدليان وبقدميه الكالة الإيرانية الحريرية البيضاء وبعدها شارع الاكمكخانة (المتنبي) والاكمك باللغة التركية تعني الخبز وفي آخر هذا الشارع ومقابل قهوة الشابندر كان الفرن الكبير لصنع صمون العسكر في زمن العثمانيين لذلك سمي جادة الاكمكخانة وعلى رأس هذا الشارع مخزن ومحل اسطوانات حوريش وابن عمهم مغني المقام العراقي يوسف حوريش، وعلى الركن الآخر من الشارع خرائب مسقفة بالكواني (الاكياس) وفيها كان بيت زماوي بائعة الكبة وام جهاد بائعة خبز باب الاغا المشهور والذي يضرب به المثل وقد عميت ام جهاد أخيرا وتسلم جهاد الأمر من بعدها ولكن خبز جهاد لم يكن مثل خبز أمه، فقد تغير الحال ثم عمي جهاد .. كما عميت امه من قبل، ثم يأتي بعدها حمام كجو وبقالو باب الاغا وعبدو السوري الدمشقي أول من جاء بغداد لعمل الدوندرمة السورية ثم رئيس البقالين في باب الأغا (جبارة أبو قنبورة) وذلك قبل أن يتولى أولاد الحجي أحمد كنو عبود وسلمان ورزوقي وعمهم مهدي كنو أبو صالح ومجيد زعامة سوق باب الاغا وقد هدمت هذه الدكاكين واقيم محلها البنك اللبناني المتحد وعلى زاوية الشارع أرض خراب اشتراها عبد الله مبارك الصباح زوج الشاعرة سعاد الصباح كما اشترى البيت عبد الهادي أبو الطابوق في طريق الاعظمية والذي صار دار سكن المرحوم عبد الحميد

ذاكرة عراقية
أن خليل باشا حاكم بغداد وقائد الجيش العثماني حين قام بتوسيع وتعديل الطريق العام ، الممتد من الباب الشرقي إلى باب المعظم وجعله شارعا باسم (خليل باشا جاده سي)، لم يستحضر خارطة بغداد والمهندسين ويأمرهم بفتح شارع على وفق الهندسة والاستقامة

عريم، والى جهة اليسار من شارع الرشيد وابتداء من بيت إسماعيل حجي خالد توجد سينما العراق وهو مهمل لا يدخله الا رواد محلة الميدان ثم دربونة المبغى العام أو الكلجية أو الكرخانة أو العمومخانة وكلها أسماء لهذا المحل وكانت الحكومة قد أغلقت مدخله في الشارع العام وفتحته من الخلف والى اواسط العشرينيات كان الإعلان المكتوب على الجدار الخارجي باللغة العربية والانكليزية والهندية لم يزل ظاهرا والطريف ان الاعلان بالعربية جاء فيه (ممنوع الخشوش من هنانا) ثم تأتي قهوة عارف اغا ثم جامع الحيدر خانة ثم دربونة الخشالات ثم سوق باب الاغا أبو الخضراوات ثم بائع الهريسة والسويكة ثم مدخل العاقولية ثم امام طه الذي نقل ارشد العمري امين العاصمة رفاته ليلا إلى سلمان باك ثم ساحة الرصافي التي حلت محله ثم قهوة فتاح وبعدها مباشرة دربونة الدشتي التي يسكن فيها ال كنو البقالون منهم وغير البقالين ودربونة الدشت هي الدربونة الوحيدة في هذه المنطقة التي ينظم فيها موكب عزاء عاشوراء (السبايا) برئاسة عبود كنو وادارة علوان مدرع الشاعر الشعبي وكان مركز تجوالها نفس الدربونة مع الذهاب إلى مدخل سوق الصفافير ثم ترجع إلى محلة الامام طه ثم في الازقة التي تسمى الآن (عقد الجام) ثم تعود إلى الدشتي وتتفرق ثم يأتي حمام (بنجة علي) ويكاد يختص بأهالي وعمال سوق الصفافير والشورجة وسوق البزازين ثم خان فتح الله عبود ثم مدخل سوق الشورجة ثم جامع مرجان الذي كان جداره متصلا بالشارع مباشرة وقامت الحكومة بهدمه بحجة انه مائل للانهدام وكان مائلا فعلا وقيل أن البلدية سربت الماء إلى الأساسيات فجعلته تميل ثم هدم وارجع الجدار الجديد عدة امتار إلى الوراء فأصبح الشارع أكثر عرضا وجعلت له رصيفا واسعا اتجاه البنك المركزي العراقي ولقد كانت المناوشات مستمرة بين الكومة وأمانة العاصمة حول جامع مرجان الذي يدخل كالقوس في الشارع وحاولت تهديمه عدة مرات لولا وقوف مديرية الآثار العامة والعلماء والمثقفين في بغداد ضد الفكرة ومن الطريف أن أحد أمناء العاصمة عقد مؤتمرا صحفيا في قاعة الأمانة وقال (إني استغرب هذا الاهتمام الشديد بجامع عتيق خرب وأنا مستعد أن ابني مكانه بعد تهديمه جامعا أكبر وافخر فلم هذا الإلحاح والتمسك به؟) وهكذا فقد طلعت الجرائد في اليوم الثاني تشيد بذكاء هذا الأمين وثقافته وتمسكه بالمحافظة عل التراث أكثر من تمسك (المس بل) التي رفضت تهديم جامع مرجان لأنه اثر ثقافي تاريخي، ومع هذا فقد أنعمت عليه الحكومة بان نقلته إلى وظيفة مهمة كبيرة أخرى في الدولة. وبعد جامع مرجان تأتي بنايات ودكاكين حتى رأس القرية حيث المكتب التجاري الكبير لشركة عبد علي الهندي المستورد وصاحب معامل الثلج والصودا والناملیت والسيفون وتستمر الدكاكين والخرائب إلى طريق العبخانة وكان على ناصيته الخياط الهندي (جي اس فارما) الخياط الخاص للملك فيصل الأول ويعد طريق العبخانة وهو الشارع العرضاني الوحيد الواسع ثم السينما الوطني ثم شارع الميكانيك والمضخات الزراعية ومواقف السيارات الذاهبة إلى الصويرة وبعدها شركة عدس لبيع سيارات فورد ثم قهوة ابن ملا حمادي ثم شارع باب الشيخ ثم عدة بساتين صارت الآن محلة السنك ونصل إلى حديقة الألعاب الرياضية التي أنشأها المصارع الخطاط المرحوم صبري بالتعاون مع المصارع يعقوب وكان الاشتراك الشهري في هذه الساحة ربية واحدة، كنا انا وصديقي وابن صفي المرحوم ناظم الطبقجلي من المشتركين فيها ثم شركة دخان (لوكس ملوكي) التي كان يملكها جماعة من الأرمن ثم الزقاق المؤدي إلى شركة كتانة وشركة يوسف سعد، ثم مدرسة الصنايع فالكنيسة الإنكليزية وهي آخر بغداد من الجانب الأيسر من شارع الرشيد أما الجانب الأيمن ونحن قادمون من باب المعظم فبعد شارع الدنكجية تأتي رويال سينما ثم النجارون في باب الاغا ودكاكينهم الواسعة جدا طولا وعرضا ويختصون بعمل الكواريك للاطفال والتوابيت وكراسي حبوب الماء وخزانات الثياب من خشب الصناديق الاعتيادي وتسمى (المرفع) ثم الصناديق الخشبية الصغيرة والكراسي الواطئة ثم شركة عزرا مير حكاك وأشهر ما تستورد هو الدراجات والكرافانات ثم كراج نقليات الحجي أحمد الشيخلي لنقل البضائع إلى الكوت والعمارة وقد اقتطع من الساحة الكبرى التي يشغلها باقر الكبابجي ثم سوق الصفافير ثم دكان الحلاق كاظم ومعاونه عبود وهو أشهر الحلاقين في هذه المنطقة وليس فيها من يزاحم الحجي كاظم بكشيدته ولحيته المقرنصة وحياصته الحريرية وهو حلاق جميع الموجودين في سوق الصفافير والبزازين وما جاورهم وهو يفتح في الصباح الباكر ولا يغلق الا بعد الظلام لان الصفارين يبقون يشتغلون حتى المساء ويبقى ينتظرها إلى أن يغلقوا دكاكينهم وبعده يأتي مكتب نقليات حييم نثانيل اليهودي الشهير والذي له فروع في سوريا ولبنان وأوروبا ويكاد يماثل شركة توماس كوك في نقليات البضائع وبعد أن ترك العراق استقر في بيروت على الميناء في آخر شارع اللنبي واشترك معه في العمل بالايام الاخيرة بعض العرب والعراقيين (تحت العباءة) والمشهور عن مكتبه في بغداد انه وقف ذري ولكنه انقلب إلى ملك صرف على طريق (كل من يدعي حق التملك) وبعدها تأتي الساحة الكبيرة الواسعة التي تقابل جامع مرجان وفيها يتجمع الباعة ليبيعوا لليهود العائدين إلى بيوتهم مساء كل ما يخطر على البال وأولها (الششة والخريط) اما الششة فهي مجموعة نقل وحامض حلو وباقلا يابسة وحمص وحب شجر اما الخريط فهو قطع صغيرة من الطين الأصفر الأخضر ويقال انه من قصب البردي وليس له طعم ولا رائحة ولكن اليهود يتزاحمون على شرائه ولابد من سبب لذلك وفي هذه الساحة نصبت أول ماكنة سيفون والجنجر والصودا وذالناملیت وكان قبل ذلك يباع جاهزا بالقناني المغلقة بالكرات الزجاجية والتي يجب أن تكبس باليد لفتح البطل وكثيرا ما كانت القنينة تنفجر فيصاب الإنسان بالجروح البالغة ومن نهاية هذه الساحة يبدأ شارع البنك بخان (الاورطمة) أي خان مرجان على جهة اليمين وخان علي صائب الخضيري على جهة اليسار ثم صارت بعدئذ مكتب صيرفة ادوار عبودي و (بنكودي روما) في الثلاثينيات وهو الآن البنك المركزي وبنك الرافدين ثم دربونة فيها خانات تجارية تسمى دربونة (النملة) وتتصل بشارع المستنصر (شارع المهر) ثم محل بيت مسيح لبيع العرق وبعده دربونة جامع الخاصكي وبعد الدربونة مباشرة فاح أول محل في العراق لكي الملابس بالبخار وقد جلبه الارمني (توماس ميمريان) وسماه مكوى توماس ميمريان وكان عجبا عند أهل بغداد وأجرة الكي ربية واحدة وهو مبلغ محترم جدا في تلك الايام ثم محل الدكتور سموئيل ادواتو في آخر ساحة الغريري وبعدها تطل على الشارع البناية الضخمة لشركة لنج للنقل النهري واستيراد المضخات المائية المشهورة (رستن والخنزيرة تان جي) والدخول إلى مقر الشركة من الباب الخلفي في شارع النهر مقابل دكاكين الصابئة أما على شارع الرشيد فكانت دكاكينهم مؤجرة وأشهر المستأجرين كان (مكنزي) صاحب المكتبة الإنكليزية المشهورة في بغداد والتي أوصى بعد وفاته أن تسلم هبة إلى مساعده في الدكان المرحوم جواد المعروف بكريم مكنزي وبجواره الخياط البيروتي الشهير علي رضا ثم تكية السيد البدوي وحديقتها وبعدها سنترال سينما الذي جرت فيه حفلة المصارعة المشهورة بين الهركريمر الألماني والمصارع العراقي الحجي عباس الديك بتحكيم المرحوم أكرم فهمي والتي انتصر فيها العراقي حجي عباس وقد احترقت هذه السينما مؤخرا وشيد مكانها سوق عبود وبعدها الزقاق المؤدي إلى بيت الزئبق والباججي والتي اشتملت على المصورين ارشاك وعبوش وكازينو شريف وحداد وهما عبد الله شريف واسماعيل حداد اللذان كانا موظفين في كمرك بغداد وعملا سوية في هذه الكازينو ثم ياتي بعدها على الشارع اوتيل مود (قبل أن ينتقل إلى الكرخ) وكان يديره المرحوم محمود النعماني وطباخه الايطالي كوستا ثم أنشئ بدل هذا الاوتيل وما جاوره من العقارات اسواق ومحال تجارية ومنها المصور (الدرادو) ثم تاتي مباشرة الأرض الواسعة التي اتخذت كراجا ومحلا لتصليح وادامة سيارات شركة نيرن وانقلبت مؤخرا إلى بناية شركة اوروزديباك حتى ساحل نهر دجلة وبجوارها مباشرة جامع السيد سلطان علي وهو مركز رواد الطريقة الرفاعية ومقر عميدها الشيخ إبراهيم الراوي ثم الطريق إلى شريعة السيد سلطان علي وهي من أهم شرائع بغداد سعة وزحاما ثم محلة الجنابيين وعلى شارع الرشيد كان دكان الإيراني البهاني الذي يبيع احسن أنواع الفستق والبندق واللوز وبقية المكسرات ثم دكاكين الأرمن الذين يبيعون البسطرمة والكيك واللبن الرائب ثم البيت الكبير العائد للوجيه الارمني البغدادي القديم سركيسيان والذي اتخذ محلا للمشروبات وللرقص كملهى وفيه اتهمت الفنانة المشهورة التي كانت تستأجر البيت هي (صبيحة كسرى) بقتل أحدى الفنانات حين رمتها من السطح العالي إلى الأرض وقد برأتها المحكمة من هذه التهمة وكان المعروف عن صبيحة كسرى (ام اكرم) شقاوتها ومراجلها وجمالها، ثم قصر النقيب الكبير على دجلة مباشرة ثم دار المقيم البريطاني الذي اتخذ محلا لكمرك بغداد بعد انتقاله من دربونة الدخانية في سوق الصفافير وكان مديره الإنكليزي المستر (مونك) وهو المشهور بعملية تهريب موظفي الكمرك بواسطة الزوارق النهرية ذلك أن أكثر موظفي الكمرك كانوا يستدينون من المرابين النقود على أساس دفعها عند قبض الراتب وتجمع المرابون الدائنون في باب الدائرة بانتظار نهاية الدوام وملاقاة الموظفين المدينين لقبض بعض الديون وصادف ان كان حلول عيد الفطر وحين علم المستر مونك بهذا التجمع واسبابه ورآه رؤية العين اتصل بالسلطات المسؤولة وأرسلوا زورقين بخاريين من شريعة السيد سلطان علي واركب فيها الموظفين وبعثهم إلى بيوتهم قبل انتهاء الدوام وحرم الدائنين من قبض ديونهم لذلك الشهر وبعده بستان الوقف الكبيرة التي بني فيها فندق السندباد وفندق سميراميس ثم عدة بساتين اتخذت مقهى كبير استأجرها (هوبي) وكان يغني فيها رشيد القندرجي وفي ركن منها مخزن لبيع الخشب وبني في نهاية البساتين البيت الكبير لمناحيم دانيال الذي سكنه الملك فيصل الأول على اثر غرق البلاط سنة ١٩٣٦ ثم القصر الذي كان يقيم فيه القنصل البريطاني ثم قائد القوات البريطانية وقد بقي المدفعان وسارية العلم البريطاني المرفوع حتى الثلاثينيات من هذا القرن ثم اتخذ مقرا لوزارة الاقتصاد مدة طويلة ثم القصور العائدة لعبد القادر الخضري والحجي ياسين الخضري ثم قصر الباجه جي وهو نهاية شارع الرشيد حيث الكنيسة الانكليكانيه (الإنكليزية) والان وقد انتهينا من جغرافية وتاريخ شارع الرشيد، فنقول، انه لم يكن يسمى شارع الرشيد بل سمي أولا خليل باشا جاده سي ثم سمي الجادة العمومية ثم الشارع العام وأخيرا اجتمعت اللجنة التاريخية الأدبية لوضع أسماء الجادات فأطلقت عليه اسم (شارع الرشيد) كما أبلدت كل كلمات (الجادة) باسم شارع مثل: (جادة الصالحية) و (جادة الشيخ) و (جادة علاوي الحلة) و (جادة الاكمكخانة) و (جادة السراي) وكلها صارت تسمى (شوارع) وكان شارع الرشيد متربا غير مستو إلا بضعة امتار في منطقة

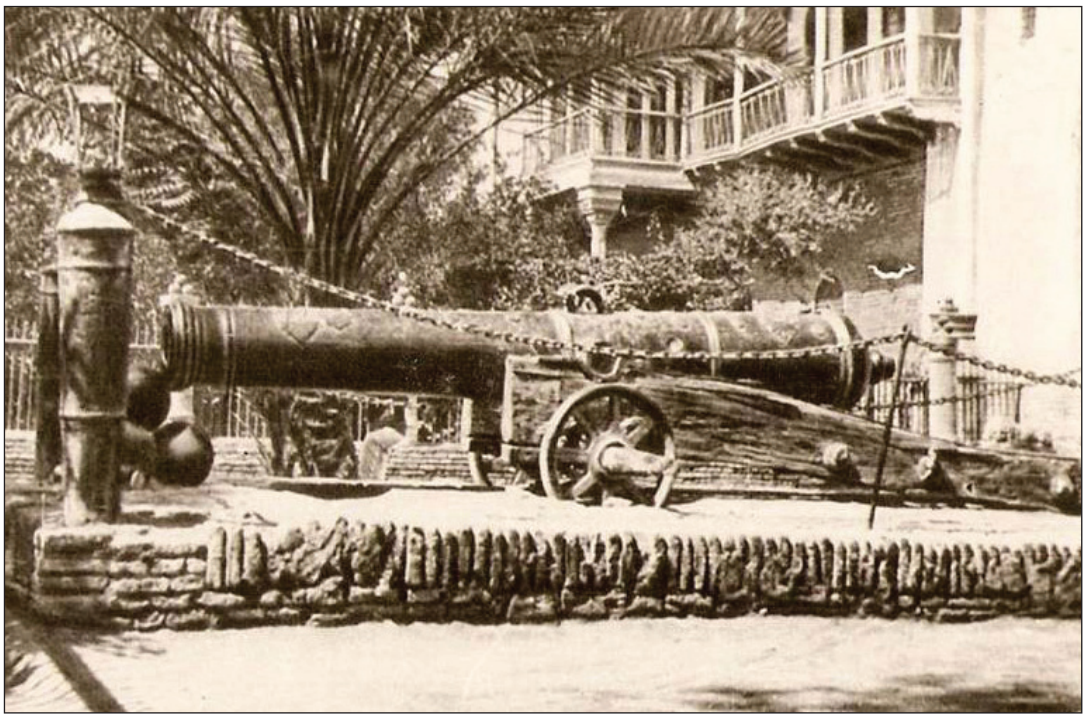

طوب ابو خزامه

دخول القوات الانكليزية بغداد عام ١٩١٧

كان السير سابقا وفقا للنظام البريطاني الذي يكون فيه مقود السيارة إلى الجهة اليمين كما هو متعامل الآن في أكثر انحاء انكلترا والبعض القليل من دول الكمنولث وقامت شركة (كوترل وكريك) و (بيت يوسف سعد) و (الاسطى سلمان الميكانيك) (صار بعدئذ المسؤول عن ميكانيك سيارات الشفروليت) عند بيت لاوي والاسطى أحمد في الميدان بعملية نقل مقود السيارة من اليمين إلى اليسار بنجاح غير كامل

الميدان فكان فيها بعض الطابوق المرصوف وكان الشارع منخفضا في ساحة الميدان وأمام سوق الصفافير وجامع مرجان وراس القرية لذلك كانت أشغال الحمالين أيام المطر رائجة في هذه المناطق لحمل الناس على الأكتاف لكي يعبر الشارع من جهة إلى أخرى، أما ازدحام العربات بأنواعها والحيوانات والسيارات فقد كان بالغا ومزعجا حيث كان هو المتنفس الوحيد لجانب الرصافة في بغداد وقد خصص للشارع بضعة أفراد من الشرطة تدربوا لتسهيل المرور في دورة خاصة فتحها (بريسكوت) مفتش الشرطة الأقدم لتهيئة شرطة مرور يساعدون الانضباط العسكري البريطاني (ام بي) والبسوا الشرطة المذكورين في ادرعهم اكياساً بيضاً مخططة بالاسود علامة على انهم مسؤولون عن النظام في الشارع وفي اوائل العشرينيات حصلت فوضى كبيرة في الشارع على اثر اعلان عن تبديل نظام السير من اليمين إلى اليسار فقد كان السير سابقا وفقا للنظام البريطاني الذي يكون فيه مقود السيارة إلى الجهة اليمين كما هو متعامل الآن في أكثر انحاء انكلترا والبعض القليل من دول الكمنولث وقامت شركة (كوترل وكريك) و (بيت يوسف سعد) و (الاسطى سلمان الميكانيك) (صار بعدئذ المسؤول عن ميكانيك سيارات الشفروليت) عند بيت لاوي والاسطى أحمد في الميدان بعملية نقل مقود السيارة من اليمين إلى اليسار بنجاح غير كامل، اما الاضطراب فكان في العربات لان الخيل المعتاد في جهة اليمين من العربة لا تعرف كيف تتحرك وتسير إذا ربطت على جهة اليسار وكذلك العكس وحصلت المصادمات وسقطت الخيول في الشارع وبعد شهر أو أكثر استقام الحال واعتادت الخيول مرة ثانية على سحب العربة بسهولة ويسر ولم يكن في شارع الرشيد شوارع فرعية إلا بعض الشوارع المؤدية إلى نهر دجلة بل كانت هناك طرق مثل طريق الصابونجية في الميدان وطريق العباخانة في سيد سلطان على طريق باب الشيخ وكانت المشكلة الكبرى تقع يوميا في الشارع أثناء عبور العربات على الجسور في أيام الفيضان حيث يكون الجسر أعلى من مستوى الشارع ولا يستطيع سائق العربة ايقاف الخيل على مثل هذا المنحدر حتى إذا استطاع وجذب اللجام بقوة فان الخيل تتزحلق بسبب نعومة النعلجات تحت حوافرها لذلك كان يحصل الاصطدام بالسيارات وبالناس وذهبت ضحايا كثيرة آخرها قرب باب جامع الامام الاعظم حيث اصطدم (اوخ) العربة وهي الخشبة الطويلة التي تربط الحصانين بالعربة بمؤخرة إحدى سيارات الباص الصغيرة وتهشم الزجاج الموجود بالجهة الخلفية من السيارة حيث قتل صبيان ذبحا بالزجاج وجرح آخرون بالاوخ وكانت المنطقة المحصورة بين باب الاغا وراس القرية أكثر المناطق ازدحاما بالناس والكدش والعربات والحمير المحملة بالبضائع والرقي والبطيخ من شريعة المحكمة أو شريعة الجسر، لأنها هي قلب المنطقة التجارية في بغداد وقد حاولت الحكومة مؤخرا إصلاح الحال ومنع العربات من المرور في الشارع ولكنها لم تفلح وآخرها الأمر الذي أصدره ارشد العمري أمين العاصمة بان على سواق الحمير والكدش بان يقودوا أكثر من ثلاثة دواب في آن واحد فازدادت المشكلة تعقيدا بكثرة السواق ومعاركهم. ثم بدأ بعد منتصف العشرينيات مشروع تبليط شارع الرشيد ايام كان (نشأت السنوي) أمينا للعاصمة وبدأ التبليط بالتعديل أولا، ثم فرش الرمل والحصو الناعم ثم المشبك الحديدي (بي ار سي) ثم التبليط باليد وبالشبيك الخشبي المدهون بالنفط الأسود كي لا يلتصق بالجير واستمر التبليط شهورا طويلة وكان من ضحايا التبليط امين العاصمة نفسه حيث نقل من منصبه إلى محل اخر وما ان انتهى التبليط حت أصبح شارع الرشيد المتنزه الأمثل لأهالي بغداد وخصوصا سكان الكرخ والسعيد منهم من يحصل وقت العصر على محل خال في تخت أحد المقاهي المشرفة على الشارع ليتفرج على الرائحين والغادين من الناس الذين لاهم لهم سوى التفرج بعضهم على بعض أو انتظار مرور عربات الغانيات من الميدان إلى الباب الشرقي في عربات مكشوفة وهن سافرات ومن الطبيعي ألا تخرج غانية منهن إلا إذا كانت ذات جمال واشتهرت منهن (زهرة عجم) التي قد تكون إيرانية من نسل بقايا عجم محمد الذي سيطر على بغداد في أيام العثمانيين هو وامه واخوته الراقصات المغنيات واشتهرت كذلك سليمة باشا وصبيحة كسرى وخديجة بيدي وكانت الحكومة قد أصدرت امرا يقضي بان تلبس الغانيات ثيابا وعباءات وجواريب لونها ازرق غامق تميزا لهن عن باقي النساء كما أمرت ان يجلس خادمها بجانب العربنجي وان يلبس عرقجيناً اصفر اللون واستمر الحال أكثر من سنة وهن بهذا الزي حتى زال تدريجيا وبدا الناس يعمرون أملاكهم الواقعة على الشارع، اما بشكل مقاه أو دكاكين أو مخازن (مغازات) أما في الاعياد أو في المراسيم الملكية أو في قدوم زائر اجنبي، فليس من السهل ان يجد الإنسان موضع قدم اذ تكون بغداد بأجمعها وسكان الالوية قد تجمعت في الشارع اما التاكسيات فلم تبدأ العمل الا في منتصف العشرينيات واول من بدأها سيارات الفيات الصغيرة ثم كثرت بعدئذ وادت الشكوى من ضيق الشارع وعدم استيعابه لوسائط النقل ففتحت الحكومة مؤخرا شارع (غازي) الكفاح وشارع الامين العرضاني للعبور من والى الكرخ وشارع العباخانة بعد ان هدت البناية المقابلة لجسر مود تماما والتي كان يشغلها بائع العرق الشهير يعقوب طيارة وبجانبه محل حافظ القاضي وقد اصطدت مرارا العربات القادمة من الكرخ على جسر مود بدكاكينهم وبالزبائن ثم بلطت الحكومة شارع الميكانيك مقابل جامع السيد سلطان علي وشارع باب الشيخ والشارع المؤدي إلى محطة قطار بعقوبة فخف الضغط على شارع الرشيد بصورة نسبية وحدثت المشكلة الكبيرة حين فتح شارع غازي ذلك أن أمين العاصمة ارشد العمري (وذلك في الثلاثينيات من هذا القرن) قرر ان يكون شارع غازي واسعا من ساحة قنبر علي حتى ساحة الصدرية أما الجانبان الآخران فقد بقيا ضيقين بينما أصر المهندسون الذين استخدموا لهذا الغرض ان يكون الشارع عريضا ذا ممرين من بدايته حتى نهايته تحسبا للمستقبل واصر امين العاصمة على رأيه وقال في مؤتمر صحفي ان اهالي بغداد صاروا طماعين يريدون ان يقبضوا عن عقاراتهم المستهلكة مبالغ قد تصل إلى مئة الف دينار لكل طرف من الشارع وهو مبلغ باهظ لست مستعدا لأدائه، وكان عنيدا بطبيعته واستقال المهندس احتجاجا على هذا العناد الذي لا لزوم له وبرهنوا له انه سوف ماتقبضه الامانة من بيع املاكها على الرصيف يسدد مبالغ الاستملاك واكثر وترك المهندسون العراق كما تركوا عنق الزجاجة في نهاية الشارع حتى اليوم اما الباصات فلم تبدأ عملها الا في نهاية العشرينيات وقد بدات بالباصات الكبيرة التي عملت في بغداد وكانت اجرة الراكب من باب المعظم إلى الباب الشرقي عانة واحدة وصارت اربعة فلوس بالعملية العراقية الجديدة وكانت تعمل بين الباب الشرقي وباب المعظم فقط وفي الثلاثينيات ظهرت الباصات الصغيرة واشتغلت بين بغداد والكرادة والاعظمية وبالرغم من فتح شارع غازي فقد بقي شارع الرشيد هو المتنفس الوحيد لبغداد ومركز نشاطها وتظاهراتها وهوساتها ومواكب العزاء والمسرات فيها وكثرت السيارات في اواخر العشرينيات وبقي نظام المرور غير مرتب وكانت السيارات تسير على وفق هواها والمنبهات والابواق و (الطواطات) المربوكة على جهة السائق تزعج الناس والعطل الدائم للسيارات والخيل الجانحة للعربات لذلك فقد صدرت أنظمة وتعليمات إلى شرطة المرور في الشارع وكانت مؤلفة من مفوض شرطة وبضعة أفراد وفي الثلاثينيات صدر نظام المرور وزاد افراد الشرطة وعين معاون مدير شرطة مرور لادارتها ونيطت بها أيضا مهمة التصديق على متانة وسلامة اللوريات التي تنقل البضائع والركاب إلى خارج العراق وبدأ امتحان سواق السيارات لإعطائهم الإجازة القانونية وكان الاختبار يجري في الزقاق الواقع خلف جامع السراي، أما السرعة داخل المدينة فممنوع أن تتجاوز ١٥ كيلومتر اما خارج المدينة فتكون ٢٥ كيلومتر وكان معدل هذه السرعة في ذلك الوقت عاليا ثم انتشرت شركات استيراد السيارات فكانت شركة شفيق عدس تستورد الفورد وشركة كتانة تستورد الدودج والبلايموث ويوسف سعد للبكارد والمهدسن والناس وبيت لاوي للشفرولية واخواتها وبيت داود ساسون للسيارات الإنكليزية موريس واوستن وفنكارد وغيرها اما السيارات الألمانية فكان يستوردها جورج عبديني وبالمناسبة فان رقم واحد بغداد كان للسيد حاج سليم مدير الشرطة العام الاسبق ورقم ٢ لجورج عبدين ورقم ٣ لعلي جودت ورقم ٤ لنشأة السنوي و٥ لفخري الطبقجلي و ٦ لجميل المدفعي و ٧ لشهاب الدين الكيلاني و ٨ لجلال بابان و ٩ لرشيد عالي الكيلاني و ١٠ لحسام الدين جمعة و ١٢ ناجي السويدي و ١٤ انطوان شماس و ١٥ عبد المنعم الخضيري و ١٧ لرؤوف الجيبه جي و ١٨ ناجي شوكت و ٢٠ نوري سعيد و ٢٢ رؤوف البحراني و ٢٣ لعبد المحسن شلاش ومن الصعب تعدادهم كلهم ولكن لغرض الاطلاع فكان رقم ٣٠ بغداد لجلال خالد و ٣٣ الدكتور مظفر الزهراوي و ٣٥ لتحسين علي و ٤٠ لاسكندر اصطيفان و ٤٤ لناجي الخضيري و ٤٧ لصالح جبر و ٤٩ لعبد الرزاق فتاح و ٥٨ لمحمود صبحي الدفتري و ٥٩ توفيق اللسويدي و ٦٦ لعلوان حسين و٧٠ السيد محمد الصدر و ٧٩ لجميل عبد الوهاب و ٩٠ لإبراهيم كمال و ١٠٠ لعبد الحليم السنوي و ١٢٠ لعارف السويدي و ٣٠٠ عبد الهادي الدامرجي، أما في خارج لواء بغداد فلم يكن للمرور سوى رجل شرطة واحد في البصرة وآخر في خانقين وآخر في النجف ثم في كركوك ثم في الموصل وكان رسم تسجيل السيارات ورسم اجازة السوق عشر ربيات أما رسوم العربات فهي نصف رسوم السيارات أما الدراجات الهوائية والبخارية فلم تكن تدفع الرسوم.

عن كتاب شارع الرشيد

اعداد باسم عبد الحميد حمودي

شارع الرشيد قديما

احد الاسواق القديمة

شيء عن جامع الخلفاء

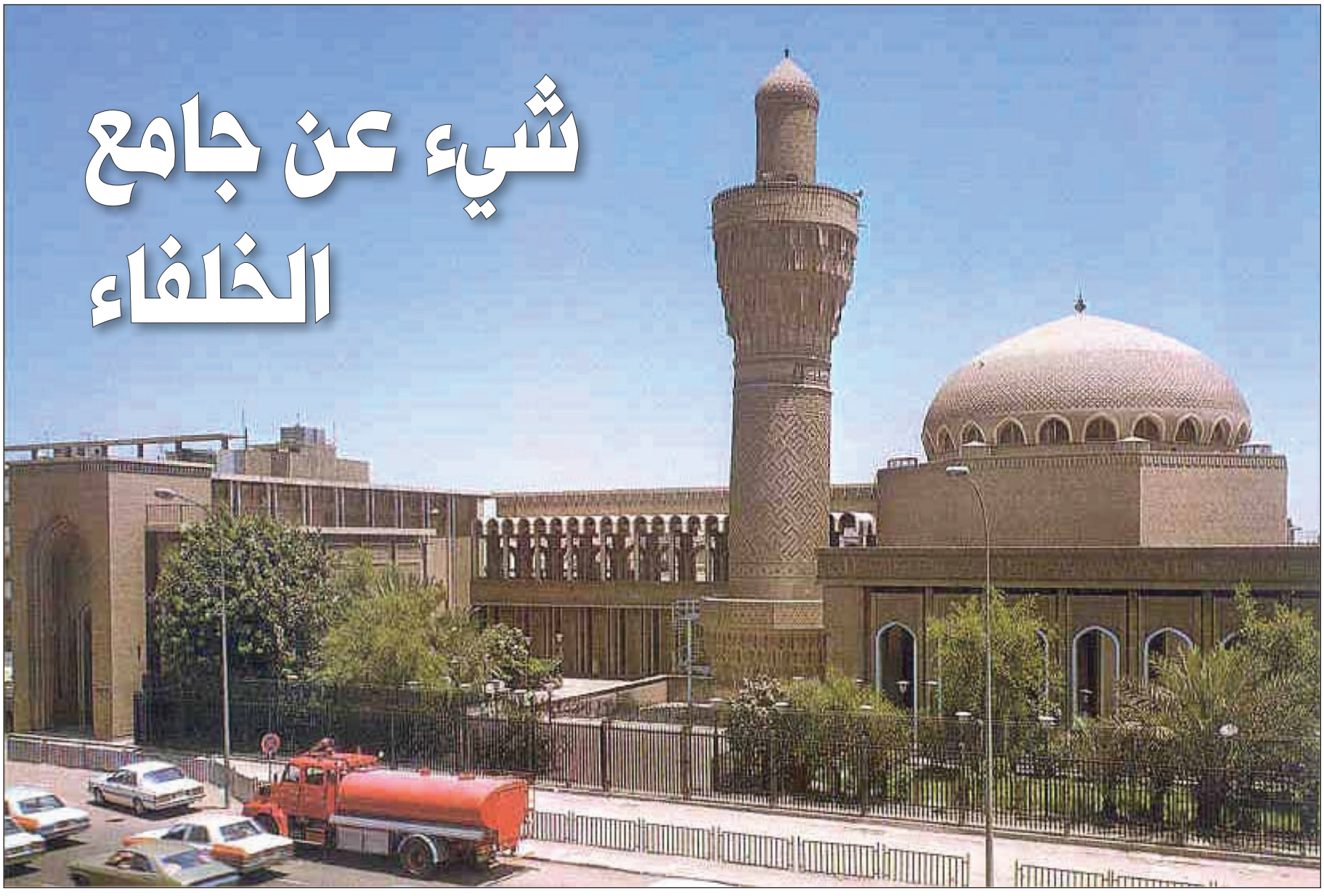

بعد أن قدمت إلى مدير هذه المجلة الغراء مقالتي"منارة سوق الغزل" التي أدرجها في الجزء الأول من هذه السنة. طبع الكاتب البارع بهجة الأثري كتاب "تاريخ مساجد بغداد وآثارها" ودعتني تلك المقالة إلى أن أمعن النظر في البحث الخاص بجامع الخلفاء. آملا أن أجد فيه ما تزين به تلك الصحائف من الأنباء المتممة. فوجدته يقول في المتن والحاشية (ص٣٩) عن هذا الجامع أن بانيه هو الإمام محمد المهدي في سنة١٥٩هـ (٧٧٥م). ولم أتذكر وجود هذا القول في النسخة الخطية المحفوظة في خزانة الآباء الكرمليين التي كنت طالعتها إبان كتابتي المقالة ولكني لم اعتد بذاكرتي. فرجعت إلى النسخة الخطية لتحقيق الغاية. وهذا ما فيها(ص٧٢) عن قدم الجامع: "كان هذا هو المسجد الجامع أيام الخلافة العباسية... فكان مصلى خليفة المسلمين من آل عباس"أهـ. ولم يزدنا المخطوط في تعريف زمن بناء الجامع.

وإذ ذكرت هذه النسخة المخطوطة. وقد نظر فيها المرحوم الشيخ محمود شكري الألوسي كما سيجيء فلا استغني عن نقل ما ورد فيها عن "شخصية" ناسخها وغير ذلك لعلاقته بالبحث.

وهذا ما فيها في النص١٥٥: "تكملة المساجد الكائنة في الجانب الغربي. وقفت على القسم الثالث من أخبار بغداد وما جاورها من البلاد للعلامة الأستاذ السيد محمود شكري افندي الشهير بالآلوسي. وهذا القسم التاريخي يحتوي على ذكر الجوامع والمدارس في بغداد ولما كان الجانب الغربي يحتوي على كثير من المساجد التي لم يرد ذكرها فيه أحببت أن ألحقها فيه (كذا) خدمة للتاريخ. والله الموفق المعين"أهـ.

وفي آخر الكتاب(ص١٧١) ما يلي: "هذا ما وصلت إليه يدي من تكملة المساجد في الجانب الغربي مع ضيق الوقت... وأنا الفقير إليه تعالى محمد خلوصي ابن السيد محمد سعيد التكريتي الناصري. تحريرا في اليوم الحادي عشر من شهر شعبان المعظم سنة ست وثلاثين وثلثمائة والف هجرية"أهـ.

قلت إن الشيخ الآلوسي نظر في هذه النسخة والذي يؤكد لنا ذلك ما نقرأه في ورقة بخطه ملصوقة بالصفحة ٣٣ من المخطوط فيها قصيدة لعز الدين أبي حامد عبد الحميد بن أبي الحديد وهي التي طبعت في مجلة اليقين(١ "١٣٤١هـ= ١٩٢٢م" ٤٢٣) في جملة المستنصريات ثم في المستنصريات المطبوعة على حدة (الص١١) وجاء منها بيتان في اليقين ايضا(٣"١٣٤٤هـ= ١٩٢٥م" ٤٨٩) ووردت في كتاب المساجد المطبوع (ص٩١) ومطلعها:

ابيت فلا أقيم على الصغار
وبالمستنصر الملك انتصاري(١)

وفي ذيل الورقة ما قوله: تابع صحيفة ٣١من كتاب المساجد بعد قوله: في الشرع والمطلوب كالمعتذر(٢) ثم تثبت هذه القصيدة. ثم يأتي بعدها: "وتلخيص شروط هذه المدرسة (يريد بها المستنصرية)"أهـ. وكل ما في هذه الورقة بخط الآلوسي.

وبعد هذا الإيضاح عن النسخة المخطوطة لا أخال أن القول عن جامع الخلفاء انه جامع الرصافة من زيادة المؤلف بعد نظره في تلك النسخة. وقد يكون ظني في غير محله.

ولما كانت النسخة المطبوعة لكتاب المساجد تعتبر جامع الخلفاء انه جامع الرصافة أحببت أن أعود إلى طرق هذا الموضوع نفعا للتاريخ ولعلمي أن الحقيقة بنت البحث وان الأثري من الذين ينشدونها واني لاستأذنه في ذلك:

قال الأثري في مقدمته على المطبوع(ص١٥) نقلا عن الخطيب البغدادي "ان أول جمعة أحدثت في الإسلام في بلد مع قيام"الجمعة القديمة" في أيام المعتضد في دار الخلافة من غير بناء مسجد لإقامة الجمعة. قال: وسبب ذلك خشية الخلفاء على أنفسهم في المسجد العام. وذلك سنة٢٨٠هـ(٨٩٣م) ثم بني في أيام المكتفي مسجد فجمعوا فيه"أهـ.

وقد علق الأثري(ص٣٩) حاشية على بحث جامع الخلفاء أورد فيه ملخص كلام معجم البلدان عن الرصافة وجامعها فقال:

"ذكر ياقوت الحموي المتوفى في سنة ٦٢٦ إن المهدي بنى في الرصافة جامعا اكبر من جامع المنصور وأحسن وان فراغه من بناء الرصافة والجامع بها كان سنة ١٥٩هـ أي في السنة الثانية من خلافته وانه وجد تلك النواحي في عصره خربة وانه لم يبق منها يومئذ إلا الجامع وبلصقه مقابر خلفاء بني العباس وقال: وعليها وقوف وفراشون ولولا ذلك لخربت"أهـ.فكأنه أراد بذلك أن يؤيد ما جاء في الكتاب نفسه من أن جامع الخلفاء هو جامع الرصافة. ولو لم تكن لدينا تلك الشواهد التي أوردتها في مقالة منارة سوق الغزل عن أن جامع الخلفاء هو غير جامع الرصافة لكفانا قوله نقلا عن الخطيب انه كانت"جمعة قديمة" وجمعة أحدثت في أيام المعتضد في دار الخلافة ثم بنى مسجد في أيام المكتفي فجمعوا فيه".

ويحسن بنا أيضا أن نرجع إلى كتاب مناقب بغداد الذي طبعه الأثري (ص٢١و ٢٣و ٣٣) فإذا راجعناه لا يسعنا أن نسمي جامع الخلفاء بجامع الرصافة بل نقول بدون تردد انه جامع القصر.

والظاهر أن الأثري ائتمن جريدة العرب أو مجلة مرآة العراق(٣) التي نقلت عنها. على ما نقلته عن معجم البلدان ولم يظن أن هناك بترا وعدم ترو أدى إلى قولها إن جامع الخلفاء هو جامع الرصافة. ولولا اعتقاده بأمانة النقل لأتي ببقية كلام المعجم عن الرصافة وجامعها حيث يقول: وبلصقها (بلصق مقابر خلفاء بني العباس) محلة أبي حنيفة الإمام و بها قبره "ولأنتهي بالبت بأن جامع الخلفاء هو غير جامع الرصافة".

وإذا عارضني احد في إسناد النقل عن احد المأخذين المذكورين: العرب والمرآة بأنه قول مجرد عن سند فان لي دليلا على ذلك هو اتفاق كلام حاشية ص٣٩ من كتاب المساجد المطبوع مع كلام المنقول عنه إلا التحرير . وهنا اقتطف كلام الجريدة والمجلة وكلام الكتاب للمقارنة بينهما.

كلام العرب والمرآة — كلام الكتاب

وقال بعض المؤرخين انه أدرك من باب هذا المسجد ميلين شامخين في الهواء كانا على جانبي باب الجامع وان سليمان باشا الكبير والي بغداد سنة١١٩٣ هدمهما وبنى بانقاضهما مسجدا صغيرا بقرب المنارة وهو المشتهر اليوم بجامع الخلفاء وكان الباب الذي على جنبيه الميلان السوق التي يباع اليوم الغنم وغير ذلك. وجاء في الجريدة والمجلة المذكورتين ما قولهما:

" فانهم (يريد بهم البريطانيين) لما رأوا ما عراها(عرا المنارة)... أرسلوا لها عارفين.. فكشفوا عليها... ثم باشروا في إصلاح خللها... وقد جددوا كرسيها على الأساس الأول واخذوا يصلحون البدن كله... "وقال الأثري عن ذلك: " وقد اعتنى البريطانيون بعد احتلال بغداد بالمنارة الباقية مع الجامع وجددوا كرسيها على الأساس الأول ولم يكملوها" وكان الزمن قد أكل بعض الكرسي فضعف وهذا الذي أعاده إلى ما كان. ولقد أحسن الأثري بقوله: "لم يكملوها" إذ انهم لم يصلحوا غير الكرسي وعسى ان يقوم احد بقراءة بقية كتابتها ولعله يفلح بإدراكه منها شيئا×.

وصفوة القول إن جامع الخلفاء كان يسمى جامع القصر ثم سمي جامع الخليفة أيضا وقد فشا عنه قول انه جامع الرصافة في كتاب المساجد المطبوع لغلط المصدر الذي اخذ عنه. والعصمة لله وحده.

الحواشي

(١) ناظمها عز الدين هو شارح نهج البلاغة(٢) جاءت في المطبوع أيضا منسوبة الى شارح نهج البلاغة وفي الحوادث الجامعة إنها لأبي المعالي القسم بن أبي الحديد وكان قد نشرها عن هذا المخطوط المجهول الاسم والمؤلف اذ ذاك جرجس صفافي المشرق (٥" ١٩٠٢" ١٦٥) وقال غلطا في الحاشية ا نابا المعالي القسم هو شارح نهج البلاغة (وراجع عنها هذه المجلة ٥: ١٩٢٧: ٢٢٢و ٣٤٣ح) وما يزيدنا ثقة بصحة نسبتها الى أبي المعالي القسم انها لم ترد في المستنصريات(٣) راجع هذه المجلة(٥٦"١٩٢٨"٤) تر رقيمهما وتاريخهما

عن الجزء الاول من كتاب مباحث عراقيي يعقوب سركسيان طبع بغداد 1932.

الزعيم عبد الكريم قاسم يؤسس منظمة الأوبك

صباح الجنابي

" لقد اجتمع وفدنا مع وفود الدول و الأقطار المنتجة للنفط و قرروا تشكيل منظمة تطالب بحقوق الدول المنتجة للنفط و هذه الخطوة و إن كانت لا يحسب لها حساب في بادئ الأمر إنما بعد التمعن فيها ترون إننا قد حافظنا نحن الدول المنتجة للنفط على حقوقنا و منعنا الشركات الاحتكارية من التصرف بحقوقنا و هذه الخطوة هي الخطوة الأولى في تاريخ شركات النفط في العالم و تاريخ الشركات المنتجة و هي التي ترى قوة من الدول المنتجة للنفط تقف امامها و تحاسبها بالعدل عن جهودها. إننا لا نريد أن نضيع جهود الشركات العادلة لكننا لا نريد أن تعتدي هذه الشركات على حقوق الدول المنتجة للنفط. إن العراق لم يعد وحده في الوقت الحالي بل أصبحت معه دول و اقطار أخرى توحد كيانها و توحد أهدافها تجاه تلك الشركات. و لقد اتفق وفد الجمهورية العراقية الخالدة مع وفود الدول المنتجة للنفط على قرارات صائبة تؤمن مصلحة البلاد المنتجة للنفط و لكنهم اتفقوا على ألا يذيعوا هذه القرارات إلا في يوم ٢٤ من هذا الشهر حيث تذاع من جميع الدول و الأقطار التي اجتمعت في بغداد عاصمة الجمهورية العراقية الخالدة سوف تبقى هذه المنظمة شوكة في عيون من يريد أن ينحرف عن الحق من الشركات الأخرى ."

بهذه الكلمات الخالدة أعلن الزعيم الخالد عبد الكريم قاسم عن تأسيس منظمة الأقطار المصدرة للنفط "أوبك" من بغداد ١٤ تموز . كان هذا جزء من خطاب الزعيم عبد الكريم قاسم بمناسبة افتتاح مؤتمر التربية و التعليم الأول الذي عقد بتاريخ ١٥ أيلول ١٩٦٠ في بغداد. هذه المنظمة التي بذر بذرتها الأولى ابن الشعب البار الزعيم عبد الكريم قاسم نمت مع السنين لتشمل معظم الدول و الأقطار المنتجة للنفط في العالم و لتكون كبر مدافع عن حقوق عن حقوق أعضائها تجاه غطرسة و طغيان الشركات و الكارتلات النفطية المدعومة من قبل الدول الاستعمارية و الرأسمالية الكبرى . لقد اصبحت منظمة الاوبك منذ تلك اللحظات العراقية الخالدة طرفا أساسيا في المعادلة الاقتصادية العالمية و أصبحت الدول و الأقطار المنتجة للنفط العامل الأساسي في تثبيت أسعار النفط في العالم و كذلك تحديد سقف الانتاج العالمي للنفط مقسما بحصص مدروسة على اعضاء المنظمة بعدما كانت الشركات النفطية تتلاعب في مستويات الاسعار و معدلات الانتاج تارة من اجل الضغط سياسيا على دولة معينة و تارة من اجل إبطاء عجلة التقدم و النمو في دولة أخرى . قبل ان تظهر منظمة الاوبك للعالم كانت الشركات النفطية الاستعمارية تنفرد بالدول المنتجة للنفط دولة بعد دولة بهدف تركيعها غالقة الباب أمام اي مواقف موحدة للدول المنتجة للنفط أما بعد تأسيس الاوبك و كما ينص ميثاقها الموقع في بغداد فان هذه الدول جميعا تناصر موقف أي من دول الاوبك عند نزاعها مع الشركات النفطية و تكون قراراتها دائما بالإجماع.

يروج البعض في هذه الايام من أن ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الخالدة بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم انقلاب عسكري عابر قام به مجموعة مغامرة من الضباط من اجل الحصول على مناصب أو سلطة ، و لكن الحقائق التاريخية أثبتت أن ١٤ تموز ١٩٥٨ هي ثورة شعبية عارمة قادها أبناء بررة من الجيش العراقي الباسل و قبل تنفيذ الثورة تم التخطيط لتنمية المستوى المعيشي لأبناء الشعب العراقي من خلال القيام بثورات اقتصادية متتابعة و مدروسة بعناية تهدف إلى تنمية اقتصادية شاملة في المجالات الصناعية و الزراعية و النفطية لا كما حدث في عهود ما بعد ٨ شباط ١٩٦٣ حيث أصبح النفط المورد الرئيسي للبلد و توقفت القطاعات الاقتصادية الأخرى وفي الوقت نفسه أصبحت موارد النفط اداة لتغطية الفشل في جميع مرافق الدولة العراقية ليست الاقتصادية فقط بل السياسية أيضا.

بعد أيام من الثورة خطا العراق الثائر أولى خطواته الاقتصادية بالخروج من المنطقة الإسترلينية حيث مهدت هذه الخطوة العظيمة إلى تحرير الدينار العراقي من هيمنة الباون الاسترليني و أصبح الدينار العراقي حرا و قويا ينطلق من القوة الاقتصادية العراقية مستندا على ما يمتلكه العراق من موارد نفطية و معادن و كنتيجة عملية لصبح الدينار العراقي يعادل أكثر من ٢ باون استرليني في الوقت الذي كان يعادل ١ باون استرليني قبل قرار الخروج من المنطقة الإسترلينية.

بعدها بأيام صدر قانون الإصلاح الزراعي ثم تبعتها خطة توقيع الاتفاقية الاقتصادية بين العراق و الاتحاد السوفيتي و التي تقرر على أثرها بناء الهيكل الصناعي الوطني للعراق متمثلا ببناء معامل الأسمدة و السكر و الحديد و الصلب و الزجاج و معامل الإسكندرية للصناعات الميكانيكية وغيرها. عندها أدرك الغرب الاستعماري أن طموحات العراق سوف لا تقف عند حد، أن العراق يسعى أن يكون قوة اقتصادية كبيرة في المنطقة و العالم ، و خطوة أولى اوعز إلى الشركات النفطية الغربية العاملة في العراق بتخفيض أسعار النفط بصورة أثرت على خطط الجمهورية الفتية التنموية تبعتها خطوة أكثر إيلاما تمثلت بتخفيض كميات النفط المصدرة من العراق.

هذه الإجراءات و غيرها دعت الحكومة العراقية برئاسة الزعيم عبد الكريم قاسم بالدخول مع الشركات النفطية العاملة في

ذاكرة عراقية

بهذه الكلمات الخالدة أعلن الزعيم الخالد عبد الكريم قاسم عن تأسيس منظمة الأقطار المصدرة للنفط "أوبك" من بغداد 14 تموز . كان هذا جزء من خطاب الزعيم عبد الكريم قاسم بمناسبة افتتاح مؤتمر التربية والتعليم الأول الذي عقد بتاريخ 15 أيلول 1960 في بغداد.

العراق في مفاوضات تهدف الى تصحيح الأوضـاع الخاطئـة و الامـتـيـازات غير القانونية التي تمتعت بها تلك الشركات من قبل حكومات العهد الملكي. بدأت المفاوضات و مع مماطلات الشركات أصبحت طويلة ففي الوقت الذي كان العراق يحرص فيه أن يأخذ حقوقه كاملة من الشركات النفطية أيضا كان يحرص على أن يكون الحق و العدل هو أساس المفاوضات للطرفين.

لقد كان القانون رقم 80 لسنة 1961 عاملا معجلا لدوائر المخابرات المركزية الاميركية بتركيز و زيادة خططها للإطاحة بثورة 14 تموز الخالدة و زعيمها الراحل ابن الشعب البار عبد الكريم قاسم, ومع ذلك لم تتوقف مسيرة ثورة 14 تموز 1958 الخالدة عن تحقيق أهدافها من تحقيق الاستقلال الاقتصادي الوطني

كيف نشأت فكرة الـ "أوبك"

في تشرين الأول ١٩٥٩ قدمت حكومة ١٤ تموز اقتراحا رسميا إلى المجلس الاقتصادي التابع لجامعة الدول العربية و آخر إلى لجنة خبراء النفط العرب بتشكيل لجنة من خبراء قانونيين و فنيين و اقتصاديين لوضع اتفاقية بين الدول العربية لتحديد و معالجة سياسة استثمار الموارد النفطية إذ أن شركات النفط العاملة في البلدان العربية ترتبط فيما بينها بمصالح مالية و اقتصادية متشابكة و هي وان كانت تبدو تتنافس فينا بينها في حدود معينة ظاهريا إلا أنها موحدة السياسة تجاه الحكومات العربية التي تمارس نشاطها في أراضيها.على اثر ذلك عقدت الجامعة العربية مؤتمر البترول العربي الأول في القاهرة بين ١٦ – ٢٣ نيسان ١٩٥٩. لم يحضر العراق المؤتمر بسب الدور المخزي للجمهورية العربية المتحدة و رئيسها جمال عبد الناصر في مؤامرة الشواف في الموصل و التي نفذت في ٨ آذار ١٩٥٩، ومع ذلك كان العراق سباقا إلى إيجاد سياسة عربية موحدة للنفط خاصة و أن المؤتمر عقد بعد إقدام الشركات النفطية على تخفيض أسعار النفط الفنزولي و نفط الشرق الأوسط .

في أب ١٩٦٠ أقدمت الشركات النفطية العاملة في الوطن العربي و إيران على تخفيض آخر لسعر النفط يتراوح بين ٤ – ١٤ سنت للبرميل و بدون أي مبرر.

أدى هذا التخفيض في سعر النفط إلى إجراء مشاورات بين الدول العربية المنتجة للنفط و إيران و فنزويلا إلى إجراء مشاورات تهدف إلى الوقوف بوجه الشركات النفطية و إجراءاتها المتعسفة .

بعد الإخفاق في المفاوضات النفطية بين العراق والشركات النفطية العاملة فيه، و من اجل إيجاد كتلة من الدول المنتجة للنفط ذات ثقل دولي للوقوف تجاه تعنت الشركات النفطية دعا العراق في ٢٥ أب ١٩٦٠ كل من السعودية ، قطر ، ايران ، فنزويلا و الكويت (كانت امارة تحت الانتداب البريطاني) لحضور المؤتمر الذي تقرر عقدة في بغداد بين ١٠ – ١٤ ايلول ١٩٦٠ لاتخاذ موقف موحد تجاه الشركات النفطية و تخفيضها للأسعار.

افتتح المؤتمر يوم ١٠ أيلول من قبل الدكتور طلعت الشيباني و كيل وزير النفط العراقي. كلمة الافتتاح للدكتور طلعت الشيباني الذي ركز على التخفيض في أسعار النفط الذي قامت به الشركات النفطية و حجم الخسائر في الاقتصاد القومي للدول المشتركة في المؤتمر و انعكاساته على اقتصاد تلك الدول وان مثل هذه الإجراءات من جانب الشركات لا تنسجم مع مصالح الدول المنتجة للنفط و أكد الدكتور الشيباني أن هنالك تعارضا بين مصالح الدول المنتجة للنفط و الدول الصناعية المستهلكة له.

سمي هذا المؤتمر بالمؤتمر التأسيسي لمنظمة الأقطار المصدرة للنفط اوبك و سميت الدول المشاركة بهذا المؤتمر بالاعضاء المؤسسين و أعلن في المؤتمر "ان من حق كل بلد يصدر النفط بكميات و فيرة أن يصبح عضوا جديدا في منظمة الاوبك بعد موافقة الأعضاء المؤسسين بالاجماع" كما دعا المؤتمر الشركات النفطية المحافظة على اسعار ثابتة للنفط بعيدة عن أي تذبذب و العمل بكل الوسائل على إعادة الأسعار إلى مستوياتها السابقة قبل التخفيض .

ترأس الوفود المشاركة في المؤتمر التأسيسي لمنظمة البلدان المصدرة للنفط "أوبك" المنعقد في بغداد ١٤ تموز السادة:-

الدكتور طلعت الشيباني رئيس و فد الجمهورية العراقية

السيد عبد الله الطريقي رئيس وفد المملكة العربية السعودية

االدكتور جوان بابلو بيرز الفونسو رئيس و فد فنزويلا

السيد فؤاد روحاني رئيس و فد إيران

احمد سيد عمر رئيس وفد مشيخة الكويت

وقد تقرر في المؤتمر التأسيسي لمنظمة الأقطار المصدرة للنفط اوبك ما يلي :

١-ان الدول الأعضاء في المنظمة لا يمكن ان يبقوا مكتوفي الايدي تجاه الموقف الذي تتبناه شركات النفط في فرض التبديلات على أسعار النفط.

٢-يطلب الأعضاء في منظمة اوبك من شركات النفط المحافظة على أسعار ثابتة للنفط بعيدة عن كل تذبذب لا ضرورة له مع العمل على عودة الأسعار لمعدلاتها السابقة قبل التخفيض.

٣-على الأعضاء أن يدرسوا و يسنوا نظاما يضمن ثبات الأسعار و تنظيم الإنتاج بشرط ملاحظة مصالح الدول المنتجة و الدول المستهلكة و ضمان دخل ثابت للدول المنتجة و ربح معقول للشركات التي استثمرت بهذا المجال.

٤-اذا حصل نتيجة تنفيذ أي قرار اتخذ بالإجماع في هذا المؤتمر ان قامت احدى الشركات المعنية باتخاذ اي اجراء مباشر او غير مباشر ضد واحد او اكثر من الاقطار الاعضاء فان على اي عضو اخر لا يقبل اي عرض يعود بالمنفعة علية و حدة . كأن يشكل زيادة في التصدير او رفع للاسعار تقدمه الية الشركة او الشركات لعرقلة تطبيق القرار الجماعي الذي توصل إليه المؤتمر.

لقد أراد الزعيم عبد الكريم قاسم من العمل على تأسيس منظمة الأوبك في بغداد تسليط الضغط على الشركات النفطية العاملة في العراق و المتعسفة بحقوق الشعب العراقي و فعلا فقد أضحى تأسيس الأوبك دافعا معنويا كبيرا للعراق في مفاوضاته مع شركات النفط و خاصة البند الرابع في أعلاه.

لم يكن تأسيس أوبك في عراق ١٤ تموز الخالد آخر عمل في طريق تحقيق الاستقلال الاقتصادي الذي خططت لسلوكه ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الخالدة فقد استمرت المفاوضات الشاقة مع الشركات النفطية العاملة في العراق برئاسة الزعيم عبد الكريم قاسم و السيد محمد حديد و الزعيم طة الشيخ الحمد عن الجانب العراقي تخللها إصدار القانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٦١ الخاص بانتزاع الأراضي العراقية التي لم تكن أصلا مشمولة بالاستغلال بجميع الاتفاقيات مع الشركات النفطية و التي تعادل نسبة ٩٩،٥٪ من الأراضي العراقية كانت الشركات قد استولت عليها ظلما في العهد السابق تمهيدا لاستثمارها وطنيا.

لقد كان القانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٦١ عاملا معجلا لدوائر المخابرات المركزية الاميركية بتركيز و زيادة خططها للإطاحة بثورة ١٤ تموز الخالدة و زعيمها الراحل ابن الشعب البار عبد الكريم قاسم، ومع ذلك لم تتوقف مسيرة ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الخالدة عن تحقيق أهدافها من تحقيق الاستقلال الاقتصادي الوطني فقد كان آخر شي وقعه الزعيم عبد الكريم قاسم و قبل استشهاده و رفاقة الابرار يوم ٩ شباط ١٩٦٣ هو قانون تأسيس شركة النفط الوطنية العراقية في لحظات كانت طائرات و دبابات الخونة المجرمين انقلابيي ٨ شباط تصب حممها على مقر الزعيم في وزارة الدفاع ببغداد.

لكم الفخر أيها العراقيون الشرفاء أن تكون منظمة الأقطار المصدرة للنفط اوبك و بعد نصف قرن من تأسيسها من نتاج عقولكم الجبارة فانتم بحق أبناء سومر و أكد و بابل و لكم الفخر أن تكون السياسة العالمية لإنتاج و تسعير النفط في العالم من إنتاج منظمة انتم مؤسسوها.

عبد الكريم قاسم يكرم عمو بابا

رياضيون مسيحيون شرَّفوا فن كرة القدم العراقية

علي الحسناوي

ونحن نحاول استذكار تلك الأسماء اللامعة من العراقيين المسيحيين والذين ساهموا بشكل فعّال ونقي في رفع سمعة الرياضة العراقية في جميع المحافل الوطنية والدولية.

وحينما نفتح هذه الذاكرة الكروية فإن أول من يضيّفنا هو الدولي توما عبد الأحد وهو الذي مثّل مسيحيي العراق والعرب في أول منتخب كروي عراقي عام ١٩٥١ ليبلي معه البلاء الحسن.

يورا إيشايا..أول عراقي يفتح أبواب الاحتراف

والحديث عن يورا أيشايا خليط من الشأن الكروي وشجن الاغتراب كونه اللاعب العراقي الاول الذي فتح ابواب الاحتراف على مصراعيه ومن أرقى طرقه الانكليزية وذلك بعد ان وقّع لكشوفات نادي بريستول روفرز وهو واحد من افضل النوادي الانكليزية في ستينيات القرن الماضي إلا ان صوت العراق الذي نام في ذاكرة ايشايا طوال تواجده في مدينة الضباب أستيقظ ليرحل به حنينه للعراق وفنونه الكروية الجميلة ليساهم وبفعالية كبيرة في تحقيق الكثير من الانجازات للازرق الجوي العريق وليساهم بقيادة المنتخب الوطني العراقي في العديد من المحافل الدولية.

وبعد اعتزاله الكرة وتركه عالم الاحتراف راودته فكرة الاغتراب ليحط هذا الطائر المسيحي فوق احدى مداخن مملكة السويد لينزلق منها ويقع مباشرة في عشق أول جميلاتها ليبني له ولها وبجدران العراق عشا جديدا وليخرج من القفص الذهبي الاوربي ليدخل ابواب التدريب للعديد من الفرق السويدية وليعمل بعراقيته الصميمية من اجل المساعدة على قدوم اول فريق عراقي للاشبال للمشاركة في دورة غوتا الدولية للشباب في مدينة غوتنبرغ السويدية ليفوزوا بكأسها ويتألقوا على ملاعبها.

ويأبى اللاعب العراقي أيشايا إلا ان يموت واقفا وهو ينتظر ان يلاقي معشوقته المستديرة وذلك عند دخوله الى احدى ملاعب التدريب ليسقط الجسد العراقي المنهك بحب العراق ليحتضنه العشب السويدي الندي وليخفف عنه آلام السقوط.

ومن ذكريات الأخ علي الحسني نقتبس المعلومة التالية والتي زادت هذا الاستذكار نور على نور

يورا ايشايا زار مدينة النجف الاشرف في عقد الستينيات من القرن الماضي مع المنتخب العسكري تارة أو مع النادي الثوري البغدادي وقد لعب الراحل (يورا ايشايا) في ملعب اعدادية النجف للبنين في بداية الستينيات وشاهده الجمهور النجفي انذاك واستمتع بلمحاته الفنية الرائعة.

زار الراحل يورا ايشايا مدينة النجف الاشرف اكثر من مرة والتقى اهالي المدينة والتقى باعضاء ومسؤولي الفرق النجفية التي لعبوا معها وكانت لهم ذكريات جميلة ومنها (سراديب النجف)! وهي من المحطات الجميلة التي كانت في ذاكرة ذلك الجيل عندما كانت الكرة النجفية تستدعي عبر فرقها المشهورة انذاك مثل اتحاد الفضلي والامل الرياضي وفريق الرياضي الاهلي ونادي الغري مختلف المنتخبات والاندية العراقية وبالذات من العاصمة الحبيبة بغداد.

دلائل الثقل المسيحي في الكرة العراقية (دورة لبنان)

ومن دلائل الثقل المسيحي في الكرة العراقية هو ما حصل في عقد الخمسينيات وتحديدا عام ١٩٥٧ في الدورة العربية الرياضية في بيروت وذلك حينما تواجد سبعة لاعبين مرة واحدة ومن الطائفة المسيحية في صفوف المنتخب الوطني الذي شارك في هذه الدورة.

وبفضل هذه النخبة حققنا فوزا رائعا على ليبيا ٣ . ١ وتعادلنا مع المغرب بنتيجة ٣ . ٣ بعد أن كنا متقدمين بثلاثة أهداف حيث أحرز شاعر الكرة عمو بابا هدفين منهما. إلا ان خسارتنا امام تونس بنتيجة ٤ . ٢ حالت

دون ترشحنا الى الأدوار النهائية.
ومن الجدير بالذكر أن المنتخب الوطني العراقي سجل ثمانية أهداف خلال تلك البطولة كان نصيب خمسة منها بأقدام اللاعبين المسيحيين.
واللاعبين السبعة هم:
عمو بابا، يورا أيشايا، كاكو كوركيس، خوشابا لاو، زيا شاؤول، أديسون، سركيس.
وهكذا يُسدل الستار على جزء من حكاية أول من حمل فن وحب وأسم العراق نحو بوابات العالم.

طرزان ويلسون..صديق الأطفال

اقترن اسمه بمغامرات أفلام طرزان وهو الامر الذي تسبب بأن يكون لأسمه تلك الرهبة المحببة والرغبة العالمية في ان تستذكر معه ذلك العالم الساحر في غابات الأمازون وبذلك جاء اسمه ليكون سهل النطق محفورا في ذاكرة الأطفال الذين غطت بهم ملاعب السكك والشاكرية وكمب الأرمن كما كان يُطلق عليه خلال تلك الفترة.
وكنا غالبا ما نتندر معه سائلين اياه عن سبب عدم مرافقة (الشيتا له) .

. تارزن..وين الشيته

على الرغم من حبه الكبير لكرة القدم إلا انه كان صديقا صدوقا لنخبة من رياضيي عصره وزمانه من ممارسي النشاطات الرياضية الأخرى ولم يكن بطبيعته الربانية يبخل علينا نحن الصغار برشة ماء نغرقه فيها من فوق سطوح بيوت عبد الكريم قاسم وهو عائد للتو من التمرين وذلك كلما حلّت (مواسم عيد الرشاش)، كما كنا نطلق عليها نحن المسلمون، لنكون أول من يُطلق حرب الماء حتى نغرق عند العصر نحن وأخوتنا المسيحيين ببركة من الماء والطين ولكم ان تتخيلوا ماذا كان يحصل لنا في البيوت عند رؤية أمهاتنا لنا قبل ان ننشغل بتلوين البيض العربي الأبيض.
تألق تارزن مع الفرق العسكرية العراقية والتي تسيّدت ساحة الكرة العراقية خلال تلك الفترة ولعب لمنتخبنا الوطني وتألق ضمن قوته الهجومية الضاربة وذلك قبل ان يُغادر الى الكويت ليعمل هناك ضمن طواقم عمل البناء والتشييد في أوج النهضة النفطية في الكويت.
ويُقال ان الكابتن تارزن كان قد تعرّض لحادث اليم خلال هذا العمل بعد سقوطه من احدى (السقالات) المرتفعة في مدينة الكويت.

جرجيس الياس (أبو غازي) صانع النجوم

لا يدلّك قصر قامته ونعومة جسده على قدراته القيادية الفذة. ويمكنني الآن من تحدي كل النظريات الكروية لأقول وأتساءل كيف كان يمكن لجرجيس الياس (ابو غازي) من القدرة على السيطرة على تلك المجاميع الموهوبة والمتمردة في الفرق الكروية التي كان يشرف عليها والتي كانت في حينها تحج اليه من مشارق بغداد ومغاربها اما راكبة أو ماشية على الاقدام.. وهو يتأوه بلكنته المسيحية المحببة:

. هاذا فاله راه يموتني..بالمسيه

ولم يثنه يوما الدرب الوعر الذي كنا نسلكه ملتصقين بجدار مدرسة كرادة مريم الابتدائية الطويل مرورا ببقايا الشاكرية منحرفين بامتداد الطريق الترابي الحار على امتداد دور موظفي السكك حتى ندخل ملعب السكك قبل ان يتحول اسمه الى ملعب المواصلات ثم نادي الزوراء فيما بعد قبل أن يقف على ذكريات نجومه الجميلة فندق الرشيد حاليا.
كان ابو غازي أكثر إيثارا للاعبيه على ابنائه واكثر بقاءً في ملعبي السكك الرسمي والشعبي من بقائه في مسكنه الذي طالما تمنيت أن يكون متحفا وشاهدا على الزمن النبيل على أن تَطول أمنيتي هذه بيت شيخ المدربين.

ذاكرة عراقية

كان ابو غازي أكثر إيثارا للاعبيه على ابنائه واكثر بقاءٍ في ملعبي السكك الرسمي والشعبي من بقائه في مسكنه الذي طالما تمنيت أن يكون متحفا وشاهدا على الزمن النبيل على أن تِطول أمنيتي هذه بيت شيخ المدربين.

ولا عجب ان ينتخي المدرب السوفيتي يوري في حينها برؤية ابوغازي لمساعدته على تشكيل أول منتخب للشباب وهو الأمر نفسه الذي حصل مع الكابتن عبد الرحمن القيسي (ابو عوف) مدرب البريد آنذاك رحمة الله عليهما.
حيث أطلق ابو عوف مقولته الشهيرة في حينها حينما استدعى يوري اغلب لاعبي السكك والبريد لهذا المنتخب:
. أنا إلي ربيت وال (يوري) يصيرون.
تمثلا بالأغنية الشعبية العراقية المأثورة (أنا الربيت والغيري يصيرون) .
ومن المواقف النبيلة والإنسانية التي يجب ان تظل خالدة في التأريخ الكروي العراقي هو رفض ابو غازي الاستمرارية بالتدريب بعد ان اغتيل فريق السك بمؤامرة دمجه مع المواصلات بعد ان اتخذ من اسم نادي النقل كفترة انتقالية له ولتتحول هذه الخلطة الى نادي الزوراء بتسميته الحالية وهي المعلومة الفريدة التي يجب ان تظل في ذاكرة الأرشيف العراقي الكروي. ويُعتبر الكابتن جرجيس الياس من اكثر الناس عداوة لكل ما يسيء الى الرياضي وسمعته الاخلاقية حيث كان يوصي لاعبيه بعدم التقرّب من الكحوليات وعدم تناول مشروب (البيرة) على وجه الخصوص حتى ولو القليل منه.
وكان اللاعب الذي يُخالف هذه القاعدة الصارمة ولأي سبب من الأسباب عادة ما يذهب بنفسه الى الكابتن جرجيس وبكل وجل وخجل لكي يعترف بما اقترفه من ذنب وكأنّه يقف امام شباك الاعتراف الكنائسي.
وحينما كان هؤلاء اللاعبون يُسألون عن ماهية ودافعية اعترافهم لأبو غازي بفعلتهم النكراء كان يجيبون بكل برود:
. في حقيقة الأمر كنا يوم امس نرى وجه الكابتن جرجيس في قدح الشراب وهو يتوعدنا بالعقاب وايضا لأحساسنا وعند دخولنا ساحة اللعب انه يعرف كل شيء ولكنه ينتظر الفرصة المناسبة للإنتقام منا.
من دلالات عبقرية مدرسة ابو غازي في صناعة النجوم فإنه لابد لنا ان نتوقف عند بعض المحطات المضيئة في عالم مدرسة ابو غازي وأعلامها التي رفرفت في سماء الكرة العراقية.
انور وحازم جسام، علي كاظم، جلال عبد الرحمن، كاظم خلف، المرحوم ستار خلف (والذي تألق مع نادي آليات الشرطة فيما بعد) ، المرحوم كاظم لعيبي، رسن بنيان، عليوي حسين بطوش، زياد عبد الحميد، ثامر يوسف، سمير محمد علي....والقائمة تطول.
تألق ابو غازي في قدراته التدريبية الميدانية وأبدع في قيادته الملعبية وتفوق على الآخرين بحسن أدبه ووسع درايته ومرحة دون ان يكون له أي نصيب مما يحظى به دلال المدربين في العالم المعاصر فهل كتب الكابتن جرجيس الياس (ابو غازي) نظرية جديدة مفادها ان عملية التدريب الكروي عبقرية إنسانية وإبداع بشري قبل أن تكون رقما في حساب مصرفي.
ومن العبق الكنسي المسيحي الذي تركه جرجيس الياس فينا ممزوجا بالطيب الإسلامي الذي نثره عبد الرحمن القيسي فوقنا فإنه لابد لنا أن نتساءل:
ألم يحن الوقت.. لتكريم هؤلاء المبدعين أم ماذا ننتظر؟

عادل جرجيس.. إنجازات كروية عبر الأجيال

لا يمكن ان تفارق الابتسامة محيّاه. ولا يمكن لك أن تعاشره دون أن تضحك كثيرا بسبب تندره المستمر على شؤون الحياة وشجونها. مَرنٌ كأعوادِ السنابل، صلبٌ كأعوادِ الخيزران.
عادة ما نتسائل، ونحن نراقب مدربا مبدعا، عن التأريخ الكروي لهذا المدرب إذ غالبا ما ارتبطت عندنا حالات انتقال اللاعب من ميدان اللعب الواسع إلى مصطبة التدريب الضيقة. أي من لاعب إلى مدرب.
تتقارب سيرة عادلٌ جرجيس كمدرب من حيث رؤيتنا التاريخية لماضيه الكروي مع الكابتن الكبير جرجيس الياس (ابو غازي) من حيث أن كلاهما ابتدأ من حيث انتهى الآخرون والدخول مباشرة إلى عالم التدريب الصعب والقاسي خلال تلك الحقب الملأى بالسعادة وبالتعب.
إلا إنهما اشتركا بصيغة واحدة وهي ان كلاهما أختار الطريقُ الصعب والمليء بالأشواك وذلك من خلال الإشراف على فرق فتية لم يلمع اسمها بعد في ذاكرة التأريخُ العراقي الكروي خلال تلك الفترة وجواهر من اللاعبين تعب عادل جرجيس في صقلها وزاد من بريقها بعد أن التقطها من خانات النسيان الكروي.
ابتدأ المبدع عادل جرجيس مشواره التدريبي من خلال الأشراف على فريق الصواعق (الكهرباء) وذلك حينما كان يلعب في دوري الدرجة الثالثة خلال الفترة المحصورة بين ستينيات وبداية السبعينيات من القرن الماضي.
وبعد مسيرة حافلة بالانجازات خلال دوري الدرجة الثانية والتي تمكن فيها الكهرباء من صعق فرق المجموعة بقيادة عادل جرجيس الذي تميّز بحرصه الشديد وغير العادي الأمر الذي كان يتسبب باهتزاز جسده طوال الأوقات الحرجة من المباريات. حصل الفريق على بطاقة الدخول إلى دوري الدرجة الأولى في العام ١٩٧٤ وحجز مقعده الوفير مع عالم الكبار والذي لم يغادره لسنين طويلة من التألق والإبداع.
ومن هنا دخلت مرحلة عادل جرجيس الذاكرة الكروية من خلال استئثاره بظاهرة صناعة النجوم والتي كاد فيها أن يجاري صانع النجوم ابو غازي.
وبالتالي فإنه سرعان ما تحوّل فريق الكهرباء إلى مصدر للنجوم بعد أن أثرى فرق الدوري العراقي بالعديد من النجوم التي بدورها إرتقت وتسامت بسمعة الكرة العراقية على صعيد المحافل الدولية من خلال مشاركاتها في المنتخبات الوطنية.
ومن هذه الجواهر التي صقلها المبدع عادل جرجيس تتألق الذاكرة الكروية بأسماءٍ مثل:
ضرغام الحيدري، ياسين ياس، قاسم محمد (ابو حمرة) ، سعدي يونس، حميد سلمان، فيصل غضبان، كريم هادي، شاكر محمود، اياد محمد علي، الأخوة كريم ونعيم ورحيم صدام، رزاق خزعل...وآخرون.
وحتى حينما تخلى الكهرباء عن اسمه الصاعق ليحمل اسم (نادي الصناعة) فيما بعد إلا ان عادل جرجيس ظلّ وفيا له وقائدا لمسيرته لأكثر من خمسة عشر عاما.
ونتيجة لهذا التألق أسند اليه الإشراف على أول منتخب لأشبال العراق ليقوده فيما بعد في بطولة هلسنكي الدولية في فنلندا وليحصد كأس البطولة مع مجموعة رائعة من اللاعبين الجدد والذين اصبحوا فيما بعد من ابرز نجومنا الدوليين امثال:
الاخوين خليل وكريم علاوي، باسل كوركيس، كريم كردي، ناطق هاشم (رحمه الله) ، غانم عريبي، والحارس كريم سهيل.
ومن اروع الامثلة على القيادة والدعم الذهني الرياضي التي تميّز بها عادل جرجيس هي تلك اللحظة التي اضطر فيها عادل الى ابدال الدولي ضرغام الحيدري باللاعب الأسمر الشاب ذو الخمسة عشر عاما كريم هادي ليرتدي قميصا ازرق كان يصل حتى ركبتيه.فما كان من عادل جرجيس إلا إلقاء محاضرة قصيرة الزمن كبيرة المعاني حينما قال له بالحرف الواحد:
. اسمع ابني كريم.. انك لست أدنى شأنا عن هؤلاء النجوم ان لم تكن افضل منهم كونك قادما الآن من انتصار في بطولة هلسنكي وكنت الهداف فيها.
ابدع كريم هادي وهو يصارع رعد حمودي في منطقة الجزاء حيث انتهت مباراة الصناعة والشرطة بالتعادل السلبي وحصل كريم في حينها على اول تكريم له بزيادة مخصصاته لتصل الى مستوى مخصصات النجوم.
ولم يتوقف ابداع عادل جرجيس عند حرفة صناعة النجوم فحسب بل تعدّاه ليصل الى صناعة المدربين الذين واكبوا مسيرته وساروا على خطاه واعتمدوا نهجه التدريبي المذهل.
ومن هؤلاء الكابتن موفق المولى الذي كان مساعدا لعادل جرجيس والذي اشرف بعد ذلك على منتخب اشبال العراق الذي شارك في بطولة هلسنكي الدولية وكأنه يريد ان يذكرنا بمقولة هذا الشبل من ذاك الأسد. كما تخرّج من مدرسته التدريبية الكابتن محمد الشيخلي والذي استلم راية نادي الصناعة بعد ذلك والذي لازال لحد الآن حافظا للعهد والمبادئ التي غرسها فيه الكابتن عادل جرجيس.
ويأبى عادل جرجيس ان يغادر ميدان التدريب الكروي إلا وهو مصحوبا بإنجاز آخر ليدخل التأريخ مرتين ويخرج منه مرةً واحدة وذلك بعد ان أنيطت به مهمة تشكيل وإعداد أول منتخب نسوي عراقي لكرة القدم ليتألق معه أيضا من خلال تعامله الاجتماعي والأبوي ليغادر بعدها الساحة التدريبية بصمت وهو مكلل بأكاليل من العتب ومثقل بالكثير من الشكوى من حالة النسيان التي طغت على مسيرات عظمائنا الذين صنعوا تأريخ الكرة العراقية وكتبوه بحروف من نور.
طوبى للمبدعين الذين رتّلتْ لهم الكنائس وأذنت لهم الجوامع وهم ينتخون عراقيتهم أولا.

الفريق الذي يظهر فيه عادل جرجيس وعمو بابا وجرجيس الياس وغيرهم

مقهى احمد سمير

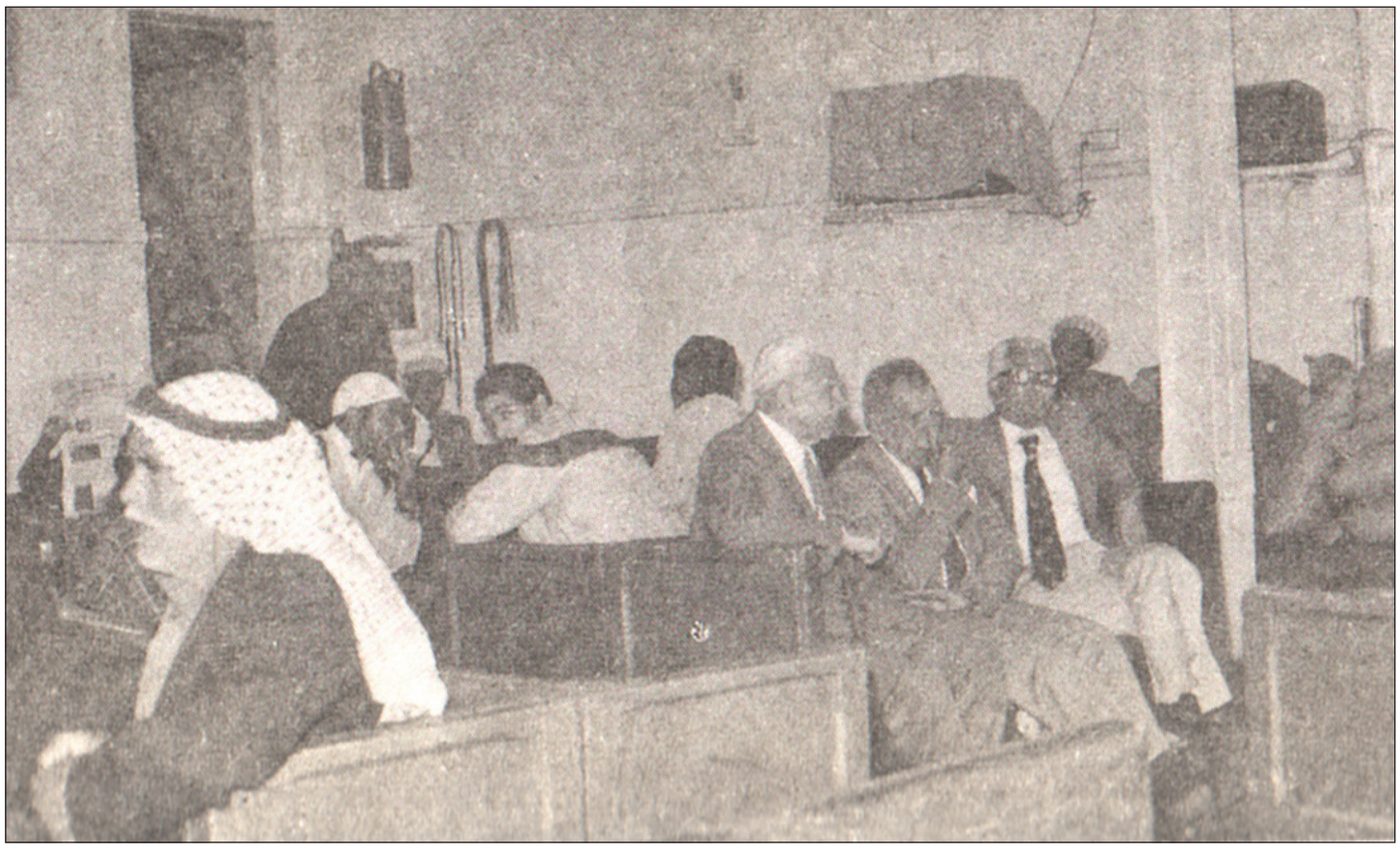

تقع هذه المقهى قبالة جامع الشيخ صندل، على درب (علاوي الحنطة)، ولها بابان تطل إحداهما على الدرب بمواجهة الجامع، والأخرى على مدخل (الفحامة) وهذه الأخيرة لم أرها تفتح يوماً.

والداخل إلى (محلة الفحامة) تقع المقهى على يمينه، وأما عن شماله فهناك مطعم باجة المرحوم (عباس بربوتي) تليها علوة او بقايا علوة شبه مهجورة ثم (كرخانة) للفحم يديرها إبراهيم الفحام وتساعده زوجه (منيرة).

كان يدير المقهى في أواخر الثلاثينيات وأوائل الاربعينيات المرحوم توفيق أبو محمد ويعرف بـ(حوتي) وهو رجل نظيف الملبس، حسن الهندام، أغرى بحسن حديثه المرحوم (عبد المجيد الملا) فراح هذا يستحضر الكتب ويقرأ على الجلاس ما لذ وطاب من (الف ليلة وليلة) و(المستطرف) و(نزهة الجلاس من نوادر أبي نؤاس) وكان له جمهور، ويوم لا يحضر تكون صدارة المجلس للمرحوم السيد (جميل ابن السيد شاكر) الذي كان أبوه وجده وجد أبيه على مختارية المحلة طيلة قرن من الزمان تقريباً، ولكن جميلاً هذا كان أرقى في مصادره من (ابن الملا)، ذلك انه ظل مغرماً بكتاب (العقد الفريد) لمؤلفه (ابن عبد ربه) لذلك كان جمهوره قليلاً.

توفي المرحوم (توفيق) وخلفه من بعده قريبه (صبري) فأحسن إدارة المقهى، وكان يعرف بين ابناء محلته باسم (حتوتي) وهو

تراثيات ..

ما سر كراهية الاميرة راجحة بنت فيصل الاول

الكاتب فاضل شنشل

يتحدث الدكتور كمال السامرائي بمذكراته المطبوعة حديث الثمانين ما ملخصه (كنت الطبيب المولد للاميرة راجحة بنت الملك فيصل الاول ملك العراق اثناء حملها الاول من زوجها عبد الجبار محمود من طياري القوة الجوية العراقية ، وذي وسامة ورجولية وخلق دمث .. وقد احال نفسه على التقاعد بطلب منه بعد ايام قليلة من زواجه من الاميرة راجحة ..)

وفي مساء يوم ٢٠ حزيران سنة ١٩٤٠ ، طلبني زوجها عبد الجبار بالتلفون لازورها ، وافهمني الموقف فجلبت معي ما يلزم ودخلت مخدع الاميرة في بيتها المتواضع المأجور في الكرادة الشرقية قسم داخل ، وكانت الى جانبها عمتها الاميرة صالحة اخت الملك فيصل الاول ، وسيدة اخرى هي اخت زوجها عبد الجبار ، ومن الفحوص المتعاقبة اثر اعراض المخاض وقد جاوز الليل منتصفه ، ادركت انني بحاجة الى طبيب مخدر يساعدني في التخدير ، ولابد أن اخبر طبيب العائلة الهاشمية سندرسن عن قراري بتوليد الاميرة بالملقط ، ولابد لي ان اخبر الاميرة بذلك ... فقالت لي بامتعاض ((ابعد عني هذا الرجل يادكتور فلا اريد ان اره ..!!).فقلت اذن ساكتفي باخباره ، قالت ((ولا ذلك فانا اقرر مصيري بنفسي ، وعمتي و زوجي شاهدان بذلك)) ..

وحاولت ان اتصل بطبيب اخر وقد اقترب الفجر ، فاخفقت ولم يكن هناك اطباء للتخدير ، ولما اشتدت بها ألام الطلق واوضحت لها ضرورة استدعاء سندرسن ، رضيت على مضض ، فاتصلت به فجرا في الخامسة صباحا و اوضحت له الموقف فقال ، ساحضر حالا وانا اقوم بتخديرها .

وفعلا وصل بسرعة لم اتوقعها وهو بكامل لباسه ، وحيا الاميرة التي ردت عليه بفتور ، وتجاهل سندرسن هذا الفتور وانشغل بخلع سترته وشرع برش المخدر على قناع فوق انفها وكان قوي الرائحة بشكل خانق ، فقاومته الاميرة راجحه وحاول سندرسن بمعسول الكلام ان يقنعها باستنشاقه حتى ترتاح ، وقال لها :.كوني فتاة طيبة واسترخي ..

الاميرة راجحة

سندرسن

مولع بكتاب (الروح) لابن القيم، حتى اوشك ان يحفظه عن ظهر غيب، ولا زالت نسخة الكتاب الى اليوم محفوظة لدى ولده الدكتور (قيس).

بعد وفاة (صبري) آلت إلى المرحوم (احمد سْمَيّر) وهو عم الدكتور (سمير علي سمير) مؤلف رسالة الماجستير (محمود الحبوبي) بأشراف الدكتورة سهير القلماوي رحمها الله.

كان (احمد سْمَيّر) رجلاً مؤدباً، رفيع الخلق، يحبه جلاّس المقهى ويحبهم، يأتيه الطعام من بيته القريب فيشاركه العمال بكل طيبة وايثار، وربما أرسل على صينية باجة من مطعم (عباس بربوتي) ودفع ثمن الطاعمين من جيبه.

وكان للمقهى راديو بحجم كبير يلتف حوله السمار لاستماع أخبار الحرب العالمية الثانية، مع كل نشرة أخبار، فإذا انتهت النشرة استمعوا إلى التعليق السياسي ثم راحوا يذهبون شتى المذاهب في تفسير ما سمعوه وفي تأويله.

يشترك في ذلك (الملا عبد سلطان العبدلي) وهو صاحب كتاب لتعليم الصبيان، و(معيلف الشمري) وهو تاجر أغنام ناجح، و(احمد النجم) له علوة لبيع الرقي تجاور مطعم بربوتي، و(السيد شاكر) ضابط سابق في الجيش العثماني ومختار المحلة، و(عبد العزيز احمد) صاحب مصبغة في المحلة، و(اسحاق) و(حسقيل) بائعا قماش في السوق وهما يهوديان أحبا هذه المحلة وأحبها أهلها، حتى لقد كانا يكسوان بعض الأيتام سراً من أبناء المحلة.

وربما اشترك في الحوار (رشيد) و(سراجي) و(كاظم) وهما من الحمالين العاملين في العلاوي. كما كان للقبانجي (نافع ابو سُراب) مجلس في زاوية المقهى عند ارتفاع الضحى. ولكن حواره مع (معيلف) أكثر ما كان يدور حول الاغنام.

وهناك جماعة لهم ركن خاص لا يختلط بهم أحد، أنهم هواة سباق الخيل يعرفون أسماءها وأسماء راكبيها، ولهم صحبة مع هذا (السايس) وذلك (الجاكي) وذلك (العلاف)، ولكنهم كانوا على مدى الأيام بحكم المفاليس، تفتح المقهى ابوابها بعد خروج المصلين من الجامع، بعد اداء صلاة الفجر، وتكون جاهزة لاستقبال زوارها اول الاشراق.

وعند باب المقهى كان هناك رجلان لهما اثر في حياة اولئك الرواد وهما ابو الكبة المعروف بـ(السيد) وكبته نالت شهرة واسعة حتى ان ربات البيوت كن يرسلن احد ابنائهن لاحضار ما يحتاجون من الكبة للفطور، وقد اعتاد اهل المحلة ان يسمعوا صوته صادحاً مع الغبش: يا كريم.. لوز ودهن... يا كريم اما الاخر فهو (حسن النداوي) كان يجلس قرب ركن المقهى وبين يديه قدر كبير للباقلاء وكومة من الخبز الحار تعده له الخبازة المعروفة (ام نصيف) وبيتها يقابل بيت (علي سمير) شقيق (احمد سمير) وهؤلاء الثلاثة (البربوتي) و(السيد) و(حسن) كانوا زينة المحلة يتنافسون في تجويد طعام الإفطار وخدمة الآكلين. وكان المولعون بأكل الكبة او تناول الباقلاء يلتهمون فطورهم عند مقدمة المقهى، أما أكلوا الباجة فلهم مواقعهم امام المطعم.

أقدمت الدولة على شق شارع حيفا فأزالت الجانب القبلي لمحلة الشيخ صندل ومعه مقهى بربوتي وانتقل القهواتية الى جوار الله وتفرق القوم أباديد... ورحم الله تلك المجالس واهلها.

من طرائف نوري السعيد

لماذا أمر بإغلاق الحمامات والمرافق عن النواب في دعوة العشاء؟

محمد مجيد الدليمي

منْ منا لم يسمع بالباشا نوري السعيد رئيس الوزراء في عهد النظام الملكي، السياسي الداهية الذي تردد اسمه في الدوائر والمحافل السياسية العراقية والعربية والدولية، ابن بغداد الوفي وصديق الانكليز الأمين، تقلد منصب وزير الخارجية ست مرات، سهلت له طرق التفاهم بين الانكليز والعراق وتولى رئاسة الوزراء لمدة أربع عشرة مرة. كل ذلك كان بحكم خبرته وحنكته السياسية التي نال فيها إعجاب الانكليز، إضافة إلى ذلك فانه صاحب نكتة وروح بغدادية مرحه وله طرائف وحكايات ساخرة من بعض المظاهر السلبية في السياسة والحكم والإدارة.

كثر الحديث عنه في أيامنا هذه التي تشهد أزمات سياسية متتالية وتساءل البعض منا. كيف لنوري السعيد الذي تولى رئاسة الوزراء عدة مرات أن حكم العراق بمكوناته وتنوعاته القومية والعرقية والسياسية وان يرضي الشعب والانكليز في آن واحد...؟

هذه التساؤلات تطرح بين الناس الآن وخاصة كبار السن الذين عايشوا أيام الحكم الملكي، والذين بدأوا يحنون إليه الآن بعد أن رأوا ظروف الحاضر الصعبة المتمثلة بالصراعات السياسية والكوارث الأمنية. روى لنا احد كبار السن وهو حي يرزق حكاية طريفة عن نوري السعيد ودهائه في حل أزمات البلاد إن حصلت ومفادها كما يرويها .

إن أعضاء مجلس النواب (الأعيان والشيوخ) طلبوا من وزير الداخلية آنذاك إن يصدر أمراً بإغلاق ملاهي بيع الخمر و وبيوت البغاء في الميدان.

نقل وزير الداخلية طلبهم إلى الباشا نوري السعيد رئيس الوزراء، الذي عارض الطلب وأوضح لهم إن ملاهي بيع الخمر وبيوت البغاء في الميدان، تعد أماكن مخصصة ومحصورة في هذه الأماكن المعروفة لدى الدولة وتحت إشراف الشرطة والصحة، وأننا في حالة منعها وإغلاقها فإنها ستفتح بشكل سري وغير مشروع وبعيدة عن أنظار الحكومة وفي أماكن ومناطق سكينة نظيفة، ستخلق مشاكل وآثار سلبية على بقية الناس الآمنين.

لم يقتنع أعضاء مجلس النواب بإيضاحات الباشا وأصروا على طلبهم بغلق ملاهي بيع الخمر وبيوت البغاء في الميدان،مما أدى ذلك إلى خلق أزمة خلاف بين رئيس الوزراء ومجلس النواب. هذه الأزمة شغلت بال وفكر الباشا وبدا يبحث لها عن حل مقنع ومرضٍ للجميع وبعد مضي مدة قصيرة وذات يوم والباشا السعيد كان عائداً من عمله وموضوع الأزمة يسيطر على عقله وبعد إن تناول غذاءه وشرب الشاي فتح جهاز المذياع وبدا يسمع ويطرب لصوت المطرب الكبير محمد القبنجي وهو يغني المقام لامي، وفي لحظات تأمل وطرب وردت له فجأة لحل الأزمة التي شغلت فكره وعقله فنهض من مكانه مسرعاً إلى جهاز التلفون واتصل بوزير الداخلية وطلب منه توجيه دعوة عشاء إلى أعضاء مجلس النواب مساء غد في مبنى رئاسة الوزراء .

في الموعد جاء المدعوون النواب ودخلوا صالة الطعام ووجدوا الموائد العامرة بكل أنواع الأكلات العراقية والغربية وحتى الأكلات البغدادية الشعبية والمشروبات الروحية،وبعد إن بدأوا بتناول الطعام أمر الباشا نوري السعيد الخدم العاملين في صالة الطعام وبشكل سري بغلق الحمامات والمرافق وجلب مفاتيحها إليه دون إن يعلم احد بذلك أكل النواب وشربوا وتبادلوا أطراف حديث الساعة فيما بينهم والباشا في وسطهم يجاملهم وتبادل معهم الحديث وبعد إن امتلت كروشهم أراد البعض الذهاب إلى الحمامات والمرافق فوجدوها مغلقة ولم يعرفوا سبب غلقها وبدا الضيق والتذمر على وجوههم ولم يجرءوا بإعلام الباشا السعيد بذلك مما اضطر بعضهم الخروج من صالة الطعام ليقضي حاجته في حديقة بناية رئاسة الوزراء والباشا يراقب من بعد الوضع وما يحدث بعضهم ضاق ذرعاً وأراد ترك الصالة والعودة إلى منزله قبل إن يسلم على الباشا السعيد .

على اثر ذلك امر نوري السعيد بفتح الحمامات والمرافق لهم حيث توجه الأغلبية منهم لها وقضوا حاجاتهم ثم دعاهم الباشا السعيد رئيس الوزراء جميعاً وأوضح لهم عن الأسباب التي جعلته يأمر بإغلاق الحمامات والمرافق حيث أراد إن يذكرهم بموضوع إغلاق ملاهي بيع الخمر وبيوت البغي في الميدان وقال لهم .

مثلما فعلتم انتم عندما غلقنا الحمامات والمرافق عنكم اضطررتم قضاء حاجتكم في أماكن عامة نظيفة غير مخصصة لقضاء الحاجة. فأولئك رواد ملاهي الخمر أو بيوت البغاء في الميدان سيفعلون مثلكم سيبحثون عن أماكن عامة نظيفة وقد تكون سكنية لتنفيذ رغباتهم الخاصة وهذا سيخلق لنا مشاكل خطرة تؤذي مجتمعنا.

بعدها اقتنع النواب بعد إن وصلت إليهم فكرة الباشا الطريفة وحلت الأزمة وخرج الجميع راضياً.

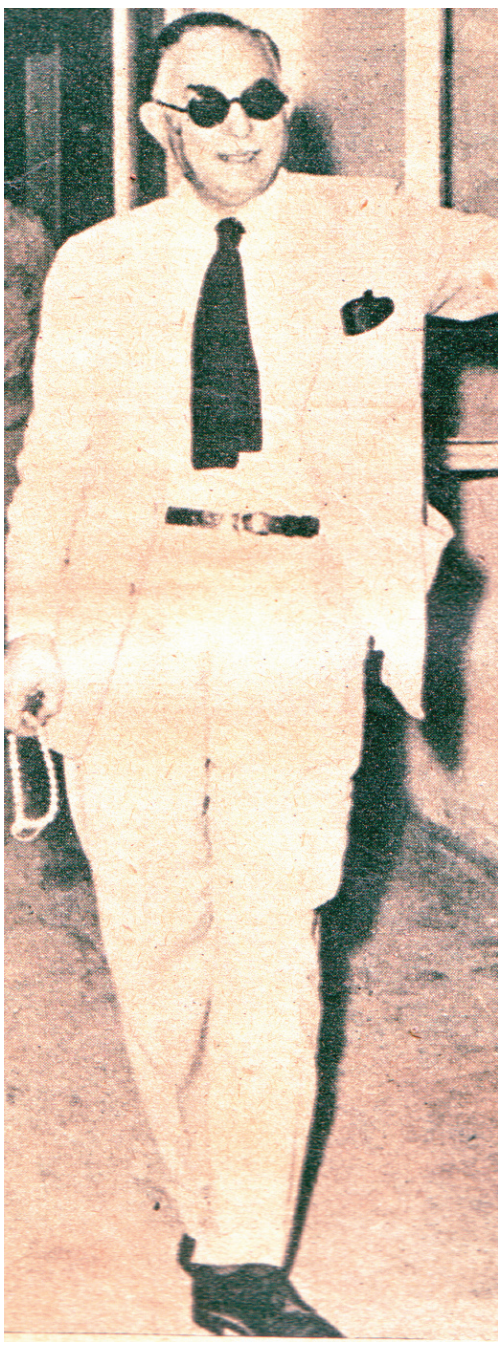

للطبيب سندرسن؟؟

فما ان سمعت الاميرة هذه العبارة حتى قذفت القناع في وجه سندرسن بقوة ، و زأرت كاللبوة الجريحة قائلة له :

كن مؤدبا يا رجل و خاطبني بلقب الاميرة فأنني بنت الملك فيصل الاول ، ولست كأي بنت اخرى ، وافضل الموت على أن تخاطبني بكامل اسمي ولقبي !!. بهت الطبيب سندرسن من ضربة القناع وحملتها العنيفة عليه .. وأسرع يعتذر اليها وبقيت حانقة مخيفة ثم غلبها الخدر والنوم ، واجريت العملية بسلام وجاء الوليد بنتا وسميت حزيمة وحاولت تلطيف الجو بعد ان استفاقت وسندرسن لايقصد الاهانة .. فقال :

(بل هي اهانة وأية اهانة بالنسبة لي) ..

وعاد سندرسن يعتذر منها ويعلم انه سلوك المهنة أن يتحمل الطبيب شتيمة المريض ، فكيف أذا جاءت من هذه الاميرة ...

في ٢٢ حزيران ١٩٤٠ زار السيد احمد شوقي الحسيني بيت جاره السيد رؤوف البحراني وعلى عادتهما بدئوا الحديث وقال احمد :

(علمت ان الاميرة راجحة بنت الملك فيصل الاول قد وضعت مولودها الاول في دارها ، وان الدكتور سندرسن باشا طبيب العائلة المالكة قد قام بعملية الولادة ، وقد انجبت بنتا وكانت مولودها الاول، وقد سمتها حزيمة على اسم والدتها الملكة حزيمة بنت الشريف ناصر بن علي شقيق الملك حسين بن علي شريف مكة) ..

وقال (سمعت ان الاميرة راجحة قد رمت بقطعة في وجه سندرسن باشا وقالت له بالانكليزية : كن مؤدبا يارجل فأنني بنت الملك فيصل الاول ولست كأي بنت أخرى ، وأخذ سندرسن يعتذر اليها وهي جد حانقة عليه ، ولم اعلم اكثر من هذا) ..

قال البحراني : الدكتور سندرسن معروف بمتانته وفرط ادبه مع العائلة المالكة ..

رد احمد قائلا : ياسيدي بعضهم كلاب ...

قال رؤوف البحراني : وهل كان زوجها الطيار عبد الجبار محمود حاضرا ؟

رد احمد : علمت أنه كان حاضرا خارج الغرفة في الحديقة ينتظر الولادة ...

من مذكرات رؤوف البحراني وهو من وزراء المالية البارزين بالعهد الملكي

عزيز علي كما عرفته . لقطات وآراء

(القسم الثالث)

خالص عزمي *

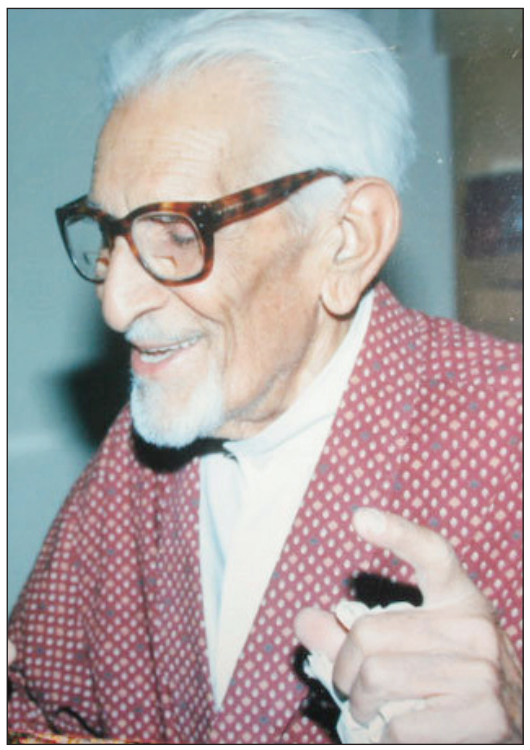

في ٢٦ تشرين الأول -أكتوبر- من عام ٢٠١٠ تمر الذكرى الخامسة عشرة على رحيل الفنان والشاعر والملحن العراقي البارز المرحوم عزيز علي؛ وما هذه الأسطر إلا باقة ورد عطرة يفوح شذاها على قبره اعتزازا وتكريما.

آراء واقصد بها آراء عزيز علي بنفسه وليس آراء غيره فيه؛ تلك الآراء التي ركز عليها في مسيرة حياته العامة؛ و التي يمكن توزيعها إجمالا على ركنين أساسيين هما: شعره ونثره

أولا . الشعر: وهذا بدوره ينقسم إلى ما كتبه باللغة العربية الفصحى وهو الأقل؛ والآخر الذي كتبه باللغة العراقية الدارجة (الشعبية) وهو الأعم .

ثانيا . النثر وأهمه ما كتبه بلغة عربية فصيحة في كتبه أو من خلال ما وقدمه في أحاديثه التي سجلها له تلفزيون بغداد على حلقات عام ١٩٦٦ تحت عنوان (في رحاب الفن).

لقد جمع عزيز علي كل ذلك الكم من النتاج ونشره بمختلف الطرق المتيسرة يومها؛ حيث تناولته بعض الصحف والمجلات العراقية؛ وكراسات مستقلة؛ وكتب مطبوعة ومخطوطة (على شكل مذكرات موجزة).

ولعل من الصعب الإحاطة بكل ما أشرت إليه؛ ولكن يمكن تقديم أهم أسانيده ومحتواه بشكل لا يسرف بعرض التفاصيل؛ ولا يخل بالوقت ذاته بجوهر ما أراد الإفصاح أو التعبير عنه .

وهنا أجد من الضروري وقبل المرور بإيجاز على أهم ما في ذلك النتاج من أصالة وهو ما أشرت إلى عناوينه أعلاه؛ أن أتوقف قليلا عند المعين الذي نهل منه هذا الفنان المتفرد لينطلق إلى عالم الفن (شعرا ولحنا و إنشادا) بأسلوب خاص متفرد لم يبزه فيه احد؛ ولربما لا يستطيع احد ذلك في المستقبل المنظور .

ولعلي استطيع ان احدد معالم ذلك المعين بالرجوع الى معلوماتي الخاصة المتوفرة لي وعلى الشكل التالي :.

لقد أفاد عزيز علي من مجتمعه الشعبي وغرف من أمثاله وحكمه وتعابيره وصياغاته الجدية أو الساخرة ؛ إضافة إلى مشاركته أو متابعته المتواصلة للأحداث العراقية والعربية والعالمية البارزة. ومنها النشاطات الثقافية والفنية التي عمت أرجاء الوطن والتي طالما حاول . رغم مشاغله .

الاطلاع عليها .

لقد استعان هذا الفنان الكبير على تثقيف نفسه بنفسه من خلال ما قرأ من كتب التراث العربي؛ والفولكور؛ ودواوين الشعر (الفصيح والشعبي) في مختلف العصور؛ كما أن اللغات التي عكف على دراستها وإتقانها.

(كتابة وقراءة وتحدثا) وأهمها (العربية ؛ الانكليزية ؛ الألمانية ؛ الروسية ؛ الفارسية ؛ الكردية وغيرها مما الم به منها بعدئذ) قد ساعدته هي الأخرى على الاطلاع الأوسع على ثقافات الشعوب الأخرى الناطقة بها كما أن سفراته إلى كثير من دول العالم ومنها (الاتحاد السوفيتي؛ بريطانيا؛ ألمانيا؛ جيكوسلوفاكيا ؛ النمسا؛ أمريكا؛ تركيا؛ فرنسا ..... الخ ومختلف البلاد العربية.) ؛ قد أفادته هي الأخرى في إثراء منبعه بكنوز ما اطلع عليه من فعاليات المسارح والأوبرات والفرق السيمفونية والمتاحف والمكتبات ودور الإذاعة والتلفزيون والسينما ومعارض الفنون التشكيلية وغيرها من النشاطات الثقافية و الاجتماعية الرفيعة .

والآن لنرجع إلى تلك الآراء التي أوجزنا أهم معالمها في أعلاه وهي :.

في مجال الشعر : لقد أكد عزيز علي في أكثر من مناسبة على ما يأتي (لم أكن في كل ما أذعته من أقوالي الملحنة طوال سني ممارستي هواية نظم هذه الأقوال وتلحينها وإنشادها من اذاعة بغداد؛ مادحا او قادحا؛ شأن بعضهم . كما لم اسمح لنفسي يوما أن أقف بها موقف الواعظ أو المرشد؛ وانما كنت دائما راويا ؛ اروي بعض الوقائع والأحداث الدائرة في مجتمعنا؛ بأسلوب رقيق؛ لاقى من المستمعين رضى واستحسانا).

توزعت مراحل أقواله الشعرية الملحنة والتي انشدها من الإذاعة على ثلاث ؛ ابتدأت الأولى من الأشهر الأولى من عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٣٩؛ وتركزت على طرح المشاكل الاجتماعية التي كان يعاني منها المجتمع في تقاليده فعمل على توعيته باعتبارها من السخف والخزعبلات المتدنية متخذا طريقا غير مباشر لذلك التوجيه؛ أما المرحلة الثانية فقد بدأت عام ١٩٣٩ وانتهت عام ١٩٤١ بانتهاء الثورة ضد الانكليز وتركزت على المجالين السياسي والاجتماعي الوصفي المحلي والعربي؛ أما المرحلة الثالثة والأخيرة وهي الأضخم والاهم فقد بدأت من بعد خروجه من المعتقل وإقامته الإجبارية خارج بغداد ومن ثم عودته إليها ومباشرته تقديم أقواله من الإذاعة ثانية عام ١٩٤٨ ..... وأكد فيها على موقفه السياسي في النقد اللاذع للأوضاع العراقية والعربية؛ مطالبا بجدية تغيير نمط إدارة الدولة إلى الأحسن والأكثر تطورا. وقد كانت صرخاته المدوية تلك من الإذاعة تلاقي تجاوبا جماهيريا أكثر من أية افتتاحية سياسية ترد في صحف الأحزاب المعارضة الرئيسية.

لقد طوع عزيز علي القوافي والأمثلة الشعبية التي أزحمت بها أقواله بسهولة لكي تسند وتقوي المفاهيم الجوهرية التي جاء بها بأسلوب نادروميسور؛ وهو ما يطلق عليه بلاغيا (السهل الممتنع)؛ بل واستعمل بعض بحور الشعر بطريقة تختلف عن اغلب موازين الشعر الشعبي؛ كما لجأ ايضا في نظمه الى اللون الذي اطلق عليه بعدئذ (شعر التفعيلة) : اما ألحانه فقد كانت ملائمة تماما لتساير التعبير عن المحتوى الشعري بكل دقة وصدق؛ وقد خدم هذين العنصرين المهمين (اللحن والكلمة) عنصري التوزيع الموسيقي الحديث والأداء الواعي الرخيم .

وفي أدناه نماذج بسيطة لكل مرحلة :

المرحلة الأولى: النموذج . جزء من (عال عال). لاحظ اللغة المعبرة عن الأمية والجهل

نص الليل فزيت من نومي
شلكي ؟ الكيلك هوسه بمهجومي
مرتي مصعدة جفجير وصينيه

أجد من الضروري وقبل المرور بإيجاز على أهم ما في ذلك النتاج من أصالة وهو ما أشرت إلى عناوينه أعلاه؛ أن أتوقف قليلا عند المعين الذي نهل منه هذا الفنان المتفرد لينطلق إلى عالم الفن (شعرا ولحنا و إنشادا) بأسلوب خاص متفرد لم يبزه فيه احد؛ ولربما لا يستطيع احد ذلك في المستقبل المنظور .

لقد طوع عزيز علي القوافي والأمثلة الشعبية التي أزحمت بها أقواله بسهولة لكي تسند وتقوي المفاهيم الجوهرية التي جاء بها بأسلوب نادروميسور؛ وهو ما يطلق عليه بلاغيا (السهل الممتنع)؛ بل واستعمل بعض بحور الشعر بطريقة تختلف عن اغلب موازين الشعر الشعبي؛

وطشت هدوم وفد طاوه وجدرية
دتدك بيهن خبصت لك ها الدنية
وتغني بحس عالي ها الأغنية
ياحوته يامنحوته هدي كمرنا العالي
وانجان ما تهدينه أدكلج بصينيه
هذا كمرنا نريده وهو علينا غالي
زوعيه يا ملعونه وهديه بالزينيه
عال عال عال العال
من ها لمال حمل جمال
المرحلة الثانية : النموذج .جزء من (دكتور) ـ وقد سادت فيه المصطلحات الطبية كرموز سياسية
يا ناس مصيبه مصيبتنا
نحجي تفضحنا قضيتنا
نسكت تكتلنا علتنا
بس وين نولي وجهتنا
دلينا يا دكتور

دكتور أمراض البينه
متفيد وياها كنينيه
ولايفيد الكالسيوم
ولا فوسفات الصوديوم
وبروميد البوتاسيوم
ذني يفيدن مرضى الجسم
وحنا مو من هذا القسم
أمراض العدنا تنقسم
أقسام وما إلها اسم
دكتور دخل الله ودخلك ما تداوينا
دكتور داء اللي بينا منا وبينا
دكتور داتجينا الحمه من رجلينا
دكتور اسكينا العلكم بس شافينا
المرحلة الثالثة : النموذج (١) . جزء من (تهنا) . لاحظ التعابير البدوية الصحراويه
تهنا بها البيده وضيعنه
ويتيه اللي ماله دليل
بس نتلافت يمنه ويسره
ولا ندري ليادرب نميل
وين الحيد اللي يرشدنه

ظلينا نكول احنا واحنا
وننظم شعر وكول وكصيد
ولما الخطر دهمنا بهتنا
واستسلمنا بلا تقييد
يعرب لابهوشه ولا بطعنه
ذهبنا وهذا من الله وعيد
وفوكاها ختلفت جلمتنا
وتشردنا شر تشريد
يبلاه الله اللي تيهنا
واللي بذر بذور الفتنه
خلينا العدنا وما عدنا
وهسا نصفج ايد بايد
عذبونا يعذبهم ربنا
(ان عذاب الله شديد)
وياهم هم حساب النا
المرحلة الثالثة : النموذج (٢) جزء من (السفينة) هنا تسود لغة السفانة والتعابير البحرية
يا عرب كثروا لمالليح وسفينتنا غرفت مي
وفوكاها معاكسنا الريح
وهذا الموج اليطوي طي
يا أهل الأفكار حالتنا عدم في عدم
ناحرنا تيار سايكنا ولا سوك الغنم
من هذي لخطار لو نسلم يأهل الرحم
ذوله المالليح لابد ما نحاسبهم
سلموه للريح جنها موسفينتهم
بس بالتصاريح أقبض من دبش عنهم
ومن صار ما صار
ما حركوا قدم عن قدم
المرحلة الثالثة : النموذج (٣) جزء من (بستان) تلاحظ أن اللغة الزراعية برزت للوصول إلى الهدف :
يا جماعة والنبي
أحنا عدنا بستان جنه من هالجنان
بيها ما تشتهي الانفس والفواكه الوان
والارض مفروشه سندس كلها ورد وريحان
وبيها هالانهار تجري مثل دجله والفرات
لون ميهن لون خميري موخمر ماء الحياة

لكن اللي يدري يدري واكثر العالم متدري
سرنا محد يدري بيه
وقف هالبستان ذري صايره للاجنبي
الجوقة (وهي في اغلب اقواله موجودة تعبيرا عن صوت الشعب) حيث تكرر معتنية بالوزن الشعري:
يا بلاد العرب جددي عهد النبي
جاهدي لا تتعبي أقدمي لا ترهبي
مهدنا يا قوم أم سى موطئا للاجنبي
من اقاصي حضرمو ت لاقاصي المغرب
المرحلة الثالثة : النموذج (٤) جزء من (صل عالنبي) ؛ لحيث تتعالى لغة السخرية اللاذعة:
يا سامعين الصوت صلوا عالنبي
سمعوا حجي مضبوط من خوش صبي
×××
يا ناس سكتوا عاد صلوا عالنبي
لاتعاندون عناد صلوا عا النبي
بزمان (حاج احمد اغا) جانوا حراميه
شركان ويا الحجي و ويا الدزدبانيه
اما اليوم الحمد لله عدنا دوريه
مساهرة وما تنام صلوا عا النبي
بغداد صارت شام صلوا عالنبي
لولاية مامونه وما بيها حراميه
ليبوك هم لو باك يبوك بحسن نيه
الجوقة : صل عالنبي
صل عا النبي
واصل اياغه هالصبي
مالح وطيب لبلبي
خوش زلمه ها الجلبي
(مختار ذاك الصوب) هم
ممنون منه والنبي
اللهم مصلي عا النبي
اللهم مصلي عا النبي

المرحلة الثالثة : النموذج (٥) جزء من (أسكت) ح لاحظ الامثال الشعبية ايضا
الركعة زغيره والشك جبير
يا ناس الابره ماتحفر بير
واليحجي يبتلي على عمره
والساكت خانكته العبره
والطايح طايح حشه كدره
والعايش عايش بالقدره
من زاخو لحدود البصره
ومن نكرة سلمان لبدره
والله واحدنا خلص صبره
شيسوي وشيدبر امره
والمن يحجي ويفضح سره
ومنهو اليسمع ومنهو اليقره
شنها لعيشه الكدره المره
الجوقة :
أسكت لتحجي تبتلي
خل يلعبون الشومه لي
ان شركت ون غربت
خوجه علي مله علي
كول الدني ربيع وكمره
المرحلة الثالثة : النموذج (٦) جزء من (الفن) وهي رائعة رمزية ساخرة من الساسة والوضع العام : فكل من العازفين الذين يشير اليهم في قصيدته انما يرمز به إلى أحد السياسيين الكبار الذين تجاهلوا قوله ؛ ما عدا نوري باشا السعيد الذي علق على بيت عزيز علي الذي ينشد فيه (خصه ابو القانون يابه شلون ملعون) قائلا لمصطفى جواد اللغوي العلامة حينما كان يدرس احفاده وهو يضحك ؛ (دكتور تره هذا .... يقصدن)
أنعل ابو الفن
لابو ابو الفن
موراح انجن
مكدر أكولن بغلتي ببريجي
والمن أكولن
الجوقة : لسكوت أحسن يا ولد أسلم وآمن
ارباب الفن خاف يسيئون الظن
ياناس موكلبي خلص
موراسي شاب
كل يوم عندي جنجرص
ويا ها الاصحاب
هذا النبكجي زعل
لازم أرضيه
وذاك القانونجي
هم كون أرضيه
لابارك الله بها العمل ما اريد اظل بيــه
يا ناس داتشوفون حجي شلون موزون
بس ليش ما يقدرون
هالفن اهل الفنون
لفنون صارت مسخره
وأكلان .....
وآني شلي بها العنقره
والمن للفن ؟
(يابه) أنعل ابو الفن
لابو أبو الفن

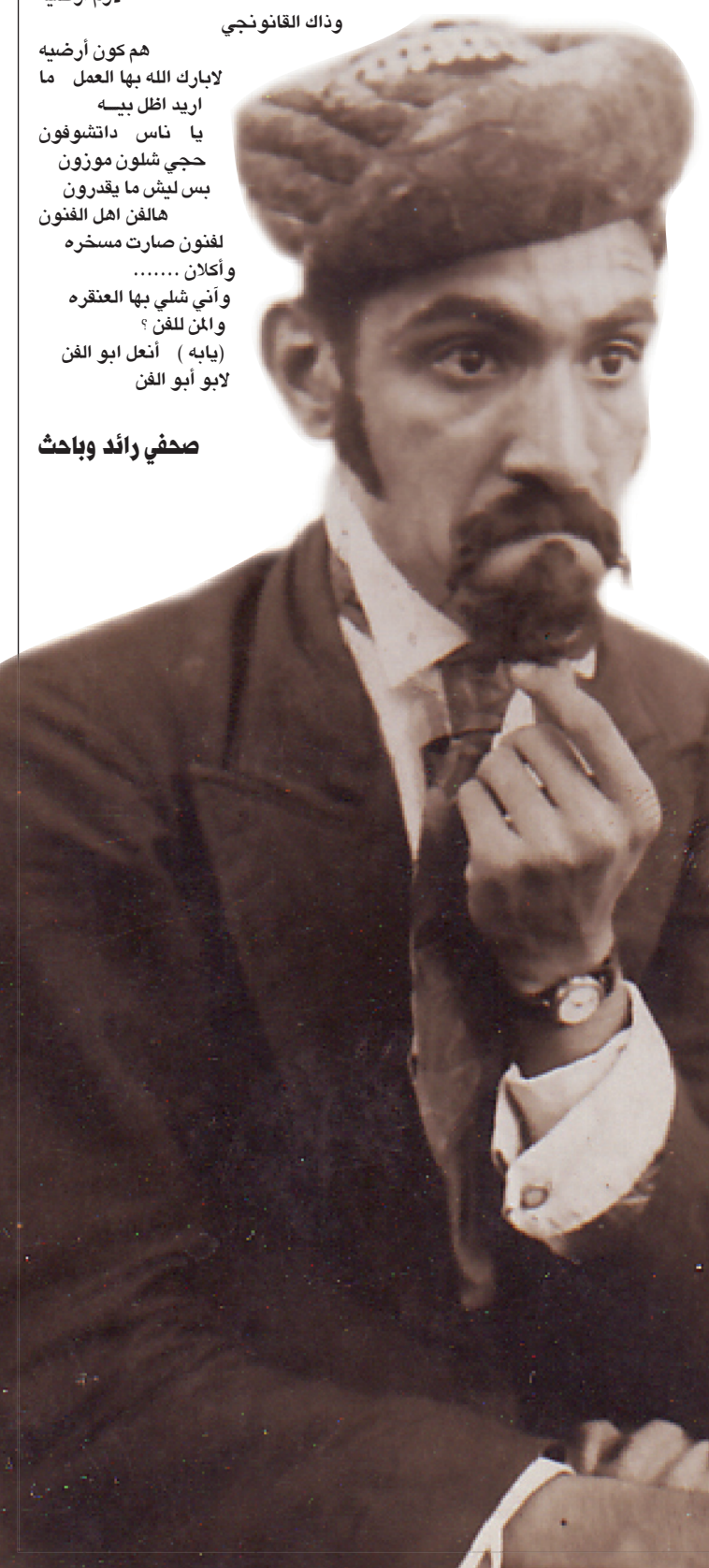

صحفي رائد وباحث

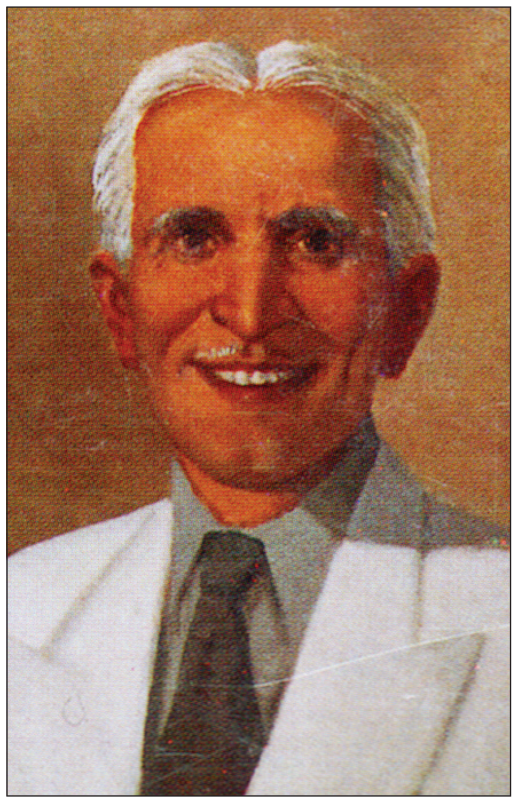

كيف أثبتت سليمة مراد هويتها للجرخجي؟

كمال لطيف سالم

كنت اذهب الى بيت جارنا واجده مستلقيا في ساحة الحوش الرحبة مفتوناً بتلك الأغاني التي ترددها أصوات الجنيات المختبئات في (صندوق القوان) أو (الغرامفون) كما عرفت فيما بعد من صديقي حفيد الرجل الكبير. وذات يوم أقنعته ان نحاول معرفة أين تختبئ تلك الجنيات وكيف يجعلهن جده يغنين ومن أين تأتي تلك الموسيقى التي ترافق اصواتهن؟

وبرغم انه كان يعرف بعض المعلومات عن (الغرامفون) إلا انه صدقني في حكاية الجنيات المغنيات، وكان مرعوباً وخائفاً من التعرض لهن، بينما كنت مطمئناً وطمأنته إلى ان من يمتلكن تلك العذوبة والرقة في اصواتهن لا يمكن ان يؤذين، وهكذا دخلنا غرفة الجد في غيابه وفتحنا (صندوق الجنيات) وقلبناه بحثاً عنهن دون جدوى، وعندها دخل الجد وفاجأنا ونحن نقلب الصندوق فسألنا: لماذا؟. اخبرته السبب، فضحك وتقدم إلى الصندوق المفتوح وقال: انه يدعى الحاكي وليس صندوق الجنيات: وحرك أبرته إلى الاعلى والى اليمين ثم انزلها على اسطوانة سوداء دوارة، عندها انطلق صوت انثوي عذب في اغنية (هذا مو انصاف منك) وعرفنا الجد بالمغنية فقال: هي سليمة مراد باشا أو سليمة باشا وهي مطربة بغدادية شهيرة ومن الطائفة اليهودية ويقع قصرها في محلة كنكيجة وهي محلة تسكنها غالبية يهودية. في قصرها كانت سليمة تعقد صالوناً ادبياً وسياسياً في أوقات محددة من كل أسبوع وتجالس سياسيين معروفين بينهم وزراء ورؤساء وزراء ورؤساء احزاب ووجهاء متنفذين، إضافة إلى عدد من الادباء والشعراء وكتاب الاغنية والموسيقيين من اليهود والمسلمين، كما كانت تقيم في قصرها الحفلات الغنائية وتشرك معها بعض المطربات المعروفات أو المطربين المعروفين ومنهم ناظم الغزالي الذي نشأت بينه وبينها علاقة حب سريعة تزوجا على أثرها وسليمة مراد التي يلقبها المقربون منها سليمة باشا بسبب نفوذها القوي على الساسة العراقيين آنذاك وثرائها حتى قيل أنها كانت تقرض الباشا نوري السعيد ما يحتاج من أموال بين الحين والآخر، هي واحدة من يهوديات العراق اللواتي رفضن الهجرة إلى إسرائيل ابان الفرهود الذي تعرضت له دور اليهود والمضايقات التي تعرضوا لها بعد إعلان قيام الدولة العبرية وفشل العرب في القضاء عليها.

ولم تكن سليمة وحدها نجمة المجالس التي كانت تقيمها في قصرها بل هناك أيضاً شقيقتاها، ريجينا وروزة وكانت ريجينا بارعة الجمال حتى وصفها احدهم أنها (تفك المصلوب).

يروى (الباصوان) أو الجرخجي أو الحارس الليلي عباس صالح العقبي الذي كان يتولى الحراسة ليلاً في محلة كنكيجة حيث يقع قصر سليمة باشا الطرفة التالية (كانت نوبتي في الحراسة في احدى الليالي تبدأ بعد منتصف الليل ويقع قصر سليمة ضمن حراستي وكان هناك يهودي كبير السن يدعى أبو نسيم يخرج مبكراً من الكنيس اليهودي في تلك المحلة ويمر ببيوت اليهود وينادي باسمائهم واحداً واحداً (شاؤول، خضوري، أنور، أبو منشي، لاوي اقعد) ويستدير إلى الجانب الآخر من (العكد) لينادي أسماء أخرى (حسقيل، أبو الياهو، شوميل، ساسون، موشي، زعرور، اقعد صلاة الصبح مليحة ومليح من يصلي الصبح).

وكنت أعرفه جيداً إلا اني استغربت تلك الليلة خروج امرأة من قصر سليمة في هذا الوقت المتأخر لتمشي خلف (أبو نسيم) وقد ارتبكت عندما رأتني فاسرعت بخطواتها عندها أثارت شكوكي وزادتني شكاً فخامة ملبسها، فلاحقتها ثم اطلقت صفرة قوية من صافرتي وطلبت منها ان تقف.

لحظتها فر أبو نسيم وتوقفت المرأة مرعوبة وحين دنوت منها اخبرتني أنها سليمة مراد المطربة، ولم أكن قد رأيتها من قبل لكني سمعت في الراديو صوتها مراراً فطالبتها باظهار دفتر الجنسية وسألتها إلى أين تمضين في مثل هذه الساعة؟

فقالت أنها لا تحمل دفتر جنسيتها وانها ذاهبة لوداع قريبة لها تحتضر وانه يمكنني مرافقتها إلى دار تلك القريبة والتأكد من صحة كلامها فقلت لها انني لا أستطيع مغادرة منطقتي المسؤول عنها، عندها التفتت إلي وقالت اسمعني اذن واندفعت تغني (يا صياد السمك صيدلي بنية) فتذكرت صوتها في الاذاعة واعتذرت منها.

ذاكرة عراقية

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

مدير التحرير : علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي ـ رفعت عبد الرزاق
التصميم : نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون